

الإعجاز البياني والتشريعي في آيات الاستئذان

أسماء نايف الخليلي*

ملخص

يتناول هذا البحث الإعجاز البياني والتشريعي في آيات الاستئذان الخمسة من سورة النور، ويهدف إلى إظهار بعض وجوه الإعجاز البياني والتشريعي في آيات الاستئذان والكشف عن أسرار النظم وقضايا التشريع فيها، ذلك أنّ هذه الآيات تناولت موضوع الاستئذان وآداب المخالطة والمعاشرة بين الناس في المجتمع الخارجي وفي المجتمع الداخلي بين أفراد الأسرة الواحدة في أدق خصوصياتها، فجاءت مرصعة بالنكات البيانية والأحكام التشريعية التي من شأنها أن تحفظ المجتمع نظيفاً نقياً طاهراً ومنتجاً من خلال النظام الأخلاقي المميز الذي يقرره القرآن الكريم للمجتمعات الإنسانية.

الكلمات الدالة: الإعجاز البياني والتشريعي، آيات الاستئذان.

المقدمة

فائقا وعناية بالغة لما له من أهمية كبيرة في صلاح الفرد في دينه ودينه وبقاء المجتمع قويا متماسكا منتجا نظيفا عفيفا طاهرا بعيدا عن مزلق الهوى والشهوات، ونظراً لمفاسد الزنا وخطورته البالغة على الفرد والمجتمع لم يكتف بفرض العقوبات الرادعة بل شرع من الاجراءات والتدابير الوقائية الكفيلة بتحقيقها والتي منها أن جعل للبيوت حرمتها التي لا يجوز المساس بها فشرع الاستئذان وغض البصر.

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين، محمد الهادي الأمين، وبعد، فإن الله جل شأنه يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُوَ أَزكى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [27-29: النور]

وفي موضع آخر يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسْتَادُنْكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: 58-59].

مشكلة البحث

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1- ما أبرز وجوه الإعجاز البياني والتشريعي في آيات الاستئذان؟
- 2- ما أبرز النكات واللطائف والدقائق البيانية والقضايا والمسائل والأحكام والتشريعات التي اشتملت عليها آيات الاستئذان؟
- 3- ما أهمية آداب الاستئذان في محيط الأسرة وخارجها؟
- 4- ما أبرز المخاطر والمحاذير المترتبة على إغفال آداب الاستئذان لا سيما على فئة الأطفال؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إظهار وجوه الإعجاز البياني والتشريعي في آيات الاستئذان والكشف عن أسرار النظم وقضايا التشريع فيها وإبراز دقة التعبير القرآني، والانتقاء البديع لألفاظه، والبلاغة المتناهية لتراكيبه. كما يهدف إلى بيان أهمية الالتزام بآداب الاستئذان وعظم المخاطر الناشئة عن إغفال تلك الآداب على جميع الفئات العمرية خاصة الأطفال.

عني القرآن الكريم سيما في العهد المدني بعد ترسيخ العقيدة في قلوب المسلمين عناية بالغة بالمجتمع المسلم وإقامة الدولة الإسلامية وتثبيت أركانها، وفي سبيل تحقيق ذلك سن العديد من التشريعات والتطبيقات والأحكام والآداب، ولقد كان للعنصر الأخلاقي النصيب الأكبر من هذه التشريعات فأولاه اهتماما

* أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الحدود الشمالية. تاريخ استلام البحث 2015/8/25، وتاريخ قبوله 2016/1/19.

أهمية البحث:

تقتبس هذه الدراسة أهميتها من الأحكام الواردة في آيات الاستئذان لما لها من أثر قوي وعميق على الفرد منذ نعومة أظفاره في صلاحه في دينه ودنياه، واحترام حريته الشخصية والحفاظ على خصوصياته التي لا يجب اطلاع الآخرين عليها، وعلى المجتمع في بقائه نقياً خالياً من الآثام والزلات بعيداً عن حبال الشيطان وخطواته القائدة إلى الفحشاء والمنكر والموصلة إلى هلاك الإنسان في دنياه وآخرته بما يؤدي إلى انحطاط الأمة لاستسلامها وانغماسها في الشهوات والمنكرات والسعار الجنسي الذي لا ينطفأ.

وفي ضوء ما تقرر يأتي هذا البحث ليتناول بالدراسة التحليلية المتأنية آيات الاستئذان وما ورد في ثناياها من قضايا بيانية ومسائل وأحكام. ذلك أن هذه الآيات جاءت زاخرة بالفنائس والدقائق والنكات البيانية والأحكام التي بها تستقيم الحياة البشرية على هذه البسيطة.

الدراسات السابقة:

أما بخصوص الدراسات السابقة لهذا الموضوع فيمكن حصرها في كتب التفسير سيما أمهات التفاسير، ولا أعلم دراسة علمية مؤصلة تناولت هذا الموضوع في الآيات مدار الدراسة على وجه الخصوص وأفرده بالبحث.

خطة البحث

اقتضت خطة البحث أن تأتي في مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وتضمنت سبب اختيار الموضوع وأهميته.

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية في سورة النور وفيه مطالب.

المطلب الأول: موضوعات سورة النور ومقاصدها.

المطلب الثاني: لفظ (الاستئذان) في القرآن الكريم دلالة ووروداً.

المبحث الثاني: القضايا البيانية والتشريعية في آيات الاستئذان وفيه مطالب.

المطلب الأول: الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا... ﴾ 27.

المطلب الثاني: الآية ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤَدِّنَ لَكُمْ... ﴾ 28.

المطلب الثالث: الآية ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ... ﴾ 29.

المطلب الرابع: الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ ذُنُوبُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ

صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ... ﴾ 58.

المطلب الخامس: الآية ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... ﴾ 59.

أسأل الله أن يلهمني الصواب والسداد، وأن يهيء لي من أمري رشداً وأن يجعل حظي من هذا العمل الأجر والثواب أنه أكرم مسؤول. ولا أدعي في هذا كله العصمة من الخطأ، فما وفقت فيه فله الفضل والمنة، وما جانبته فيه الصواب، فأستغفره وأتوب إليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية في سورة النور وفيه مطالب.

المطلب الأول: موضوعات سورة النور ومقاصدها.

سورة النور سورة مدنية باتفاق العلماء⁽¹⁾ جاءت في ترتيب المصحف بعد سورة المؤمنون وقبل سورة الفرقان، وتشترك هذه السورة مع أخواتها من السور المدنية في تنظيم أحوال المجتمع المسلم الجديد وبيان التشريعات والأحكام والدعوة إلى التخلق بالأخلاق القويمة اللازمة لما فيه صلاح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة. لكنها انفردت عن بقية السور المدنية بإيراد قضايا لم ترد في غيرها مثل حادثة الإفك وأحكام الاستئذان وغض البصر وحكم اللعان والقذف وما إلى ذلك. "و سورة النور هي السورة التي" يذكر فيها النور بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح؛ ممثلة هذه الآثار في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة. وهي آداب وأخلاق نفسية وعائلية وجماعية، تنير القلب، وتنير الحياة؛ ويربطها بذلك النور الكوني الشامل أنها نور في الأرواح، وإشراق في القلوب، وشفافية في الضمائر، مستمدة كلها من ذلك النور الكبير"⁽²⁾.

وقد تحدث العلماء قديماً وحديثاً عن موضوعات السورة ومقاصدها لكن يبقى لصاحب الضلال نظرة عميقة لمحور السورة وشخصيتها التي تميزها عن غيرها حيث يقول: "والمحور الذي تدور عليه السورة كلها هو محور التربية التي تشتد في وسائلها إلى درجة الحدود. وترق إلى درجة اللمسات الوجدانية الرفيعة، التي تصل القلب بنور الله وبآياته المبنوثة في تضاعيف الكون وثنايا الحياة. والهدف واحد في الشدة واللين. هو تربية الضمائر، واستجاشة المشاعر؛ ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة، حتى تشف وترف، وتتصل بنور الله... وتتداخل الآداب النفسية الفردية، وآداب البيت والأسرة، وآداب الجماعة والقيادة. بوصفها نابعة كلها من معين واحد هو العقيدة في الله، متصلة كلها بنور واحد هو نور الله. وهي في صميمها نور وشفافية، وإشراق وطهارة. تربية عناصرها من

كلّ ذي أذن، والآخر العِلْم؛ وعنهما يتفرّع البابُ كُلُّهُ. فأما التقارب فبالأذن يقع علم كلّ مسموع. والأصل الآخر العِلْم والإعلام. تقول العرب قد أذنتُ بهذا الأمر أي عَلِمْتُ. وأذنتني فُلاَنٌ عَلِمَني. والمصدر الأذن والإيدان. وفَعَلَهُ بِأذني أي بعِلْمِي، ويجوز بأمرِي، وهو قريبٌ من ذلك " (5).

ويقول صاحب اللسان: " (أذن) أذِنَ بالشيء إِذْنًا وَأَذَنًا وَأَذَانَةً عَلِمَ، وفي التنزيل العزيز فَأَذَنُوا بِحَرْبٍ من الله ورسوله أي كونوا على عِلْمٍ وَأَذَنَهُ الأَمْرَ وَأَذَنَهُ به أَعْلَمَهُ... ويقال قد أذنتُهُ بكذا وكذا أَوْذَنَهُ إِذْنًا وَإِذْنًا إِذَا أَعْلَمْتَهُ... واستأذنتُ فُلَانًا استِئْذَانًا وَأَذَنْتُ أَكْثَرْتُ الإِعْلَامَ بالشيء والأذَانُ الإِعْلَامُ وَأَذَنْتُكَ بالشيء أَعْلَمْتُكَ وقوله عز وجل وما هُم بِضَارِيَنَ به من أحدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ الله معناه بعِلْمِ الله والإِذْنُ ههنا لا يكون إِلاَّ من الله لأن الله تعالى وتقدّس لا يأمر بالفحشاء من السحر وما شاكله ويقال فَعَلْتُ كَذَا وكذا بِإِذْنِهِ أَي فَعَلْتُ بعِلْمِهِ" (6)

أقول: وبعد هذا العرض الموجز يتبين لنا أن مدارات مادة (أذن) تدور حول العلم والإعلام عن طريق السماع.

وقد فرق الراغب الأصفهاني بينهما بأن جعل الإذن أخص من العلم لكونه لا يستعمل إلا بما فيه مشيئة حيث يقول: قوله: ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ [البقرة: 102]، ﴿ وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ﴾ [المجادلة: 10] قيل: معناه: بعلمه، لكن بين العلم والإذن فرق، فإن الإذن أخص، ولا يكاد يستعمل إلا فيما فيه مشيئة به، راضياً منه الفعل أم لم يرض به، فإن قوله: ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ﴾ [يونس: 100] فمعلوم أن فيه مشيئته وأمره، والاستئذان: طلب الإذن، قال تعالى: ﴿ إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله ﴾ [التوبة: 45]، ﴿ فإذا استأذنوك ﴾ [النور: 62]. (7)

أما عن ورود هذه اللفظة - أذن - في القرآن الكريم فقد جاءت بصيغها واشتقاقاتها المختلفة نحو (63) مرة، جاءت في ثلاثين موضعاً منها على المعنى اللغوي وهو العلم والإعلام في سور مدنية.

ويلحظ على اشتقاقات هذه المفردة أن أكثر مجيئها كان اسماً للدلالة على أن كل ما يجري في الكون لا يتم دون إذن الله ومشيئته وعلمه سواء كانت معجزات يجريها على أدي أنبيائه أو أقدار كالموت والمصائب والهداية والضلال والشفاعة وغيرها... وجاءت بصيغة الفعل في ثلاثة عشر موضعاً في القرآن.

وقد جاءت هذه المفردة أيضاً بمعناها مدار البحث ألا وهو الاستئذان في (12) موضعاً من القرآن الكريم، ويلحظ إن اشتقاقات لفظ الاستئذان اقتصر مجيئها بصيغة الفعل فقط بأزمته الثلاثة (الماضي والمضارع والأمر) في السور المدنية

مصدر النور الأول في السماوات والأرض. نور الله الذي أشرقت به الظلمات. في السماوات والأرض، والقلوب والضمائر، والنفوس والأرواح " (3).

ويرى الأستاذ سيد قطب أن السورة أنجزت محورها العام الذي تبنته في خمسة أشواط (4) :

أما الشوط الأول فتحدث عن حد الزنا، وحد القذف وما يرتبط به من ملاحنة بين الزوجين. وتناول حادثة الإفك الذي يرتبط بالقذف وأحكامه. وينتهي هذا الشوط بتقرير مشاكلة الخبيثين للخبيثات، ومشاكلة الطيبين للطيبات.

ويتناول الشوط الثاني وسائل الوقاية من جريمة الزنا، فيبدأ بأداب الاستئذان، والأمر بغض البصر والنهي عن إبداء الزينة للمحارم. والحض على إنكاح الأياامي.

وأما الشوط الثالث فيتوسط مجموعة الآداب التي تتضمنها السورة، ويربطها بنور الله. ويتحدث عن أظهر البيوت التي يعمرها وهي التي تعمر بيوت الله، ويتحدث عن فيوض من نور الله في الآفاق وفي تسبيح الخلائق وفي تقلب الليل والنهار وخلق كل دابة من ماء...

وتحدث الشوط الرابع عن مجافاة المنافقين للأدب الواجب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطاعة والتحاكم. ويصور أدب المؤمنين الخالص وطاعتهم. ويعددهم على هذا الاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين، والنصر على الكافرين.

أما الشوط الخامس فأعاد الحديث عن آداب الاستئذان لكن هذه المرة في داخل البيوت بين أفراد الأسرة الواحدة. و آداب الجماعة المسلمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أقول: وبهذا يتبين أن السورة تدور حول وسائل تربية المجتمع المسلم وسبل تحصينه من الغرق في وحل الرذيلة والتردي في مهاوي الفجور والشهوات الجامحة من خلال جملة من التشريعات والأحكام والتدابير الوقائية المتعلقة بحفظ البيوت وصيانة الأعراض وفرض الحدود ليكون مجتمعاً نورانياً يسير على منهج الله وامتناله بأوامره وتشريعاته وأحكامه التي تقيه طاهراً عفيفاً منتجاً بناءً قوياً معطاءً قدوة لجميع الأمم والشعوب ليتسنى له حملة رسالة الاستخلاف في الأرض.

المطلب الثاني: لفظ الاستئذان في القرآن الكريم دلالة ووروداً
الاستئذان مصدر من الفعل (استأذن) وهو مشتق من الثلاثي (أذن) ومعلوم أن الألف والسين والتاء إذا دخلت على الفعل تفيد معنى الطلب وعليه فمعنى الاستئذان طلب الأذن وهو العلم.

يقول صاحب (مقاييس اللغة): (أذن) الهمزة والذال والنون أصلان متقاربان في المعنى، متباعدان في اللفظ، أحدهما أذُنٌ

يعد علم المناسبة علم جليل القدر لما أودع فيه من لطائف القرآن وأسواره، ولما كان مبنياً على الاجتهاد فقد تعددت أقوال المفسرين في بيان وجه التناسب بين الآية وما سبقها، ومما ذكر في مناسبة هذه الآية لما قبلها ما يلي:

1- الطريق الذي وجد من خلاله أهل الأفك منفذاً وسبيلاً لترويج إشاعتهم حول أم المؤمنين هو حصول الخلوة التي كانت مظنة التهمة والريبة وهو السبب الذي لأجله جاء النهي عن دخول بيوت الآخرين دون استئذان⁽⁸⁾

2- سبقت الآية بالحديث عن الأفك و حد القذف ورمي المحصنات الذي يستوجب شهادة أربعة شهود وهذا قد يدفع البعض إلى تتبع العورات لتأكيد اتهامهم باقتحام البيوت والتجسس والتلصص فجاء النهي عن دخول بيوت الآخرين دون إذن مسبق منعا لانتهاك الحرمات⁽⁹⁾.

3- دخول البيوت دون إذن قد يفتح الباب أمام القيل والقال وإشاعة الأخبار والتهم التي تطعن في أعراض الآخرين⁽¹⁰⁾، فلخطورة الرمي بالفاحشة وفعلها وحرمة ذلك كان المناسب هنا ذكر وسيلة من وسائل الوقاية من الوقوع في مثل ذلك ففرض الله تعالى على المؤمنين الاستئذان⁽¹¹⁾.

إن نظرة أولية في الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ تكشف دون أدنى ملابسة بأنها اقتضت النهي الذي يفيد التحريم عن دخول بيوت الآخرين التي لا تخصهم قبيل تحقق شرط الاستئذان الذي عبر عنه الاستئناس والتسليم، بيد أن هذا الحكم جاء عبر نظم قرآني ونسق فريد يستحق البحث والنظر، إذ أنه نظم معجز له تميزه وتفوقه، فالحكم من النهي لم يأت مباشرة مع أن دلالاته تفيد ذلك، بل تقدم النهي النداء ثم الصفة ثم الفعل المضارع المسبوق ب لا الناهية، وما مجيء هذا النهي من خلال هذه المقدمات إلا لكونه ينطوي على أهمية بالغة وخصوصية تجعله في غاية الاعتبار كيف لا وهو يتضمن "لونا من ألوان الأدب الإسلامي في احترام الناس، في ما يحيطون به أنفسهم من خصوصيات يريدون لها أن تحفظ أسرارهم العينية، وما يودون إخفاءه عن الناس أو حفظه لأنفسهم من أشياء خاصة يملكونها، أو أسرار عملية أو حميمة تطل ما ينون القيام به من أعمال، أو ما يمارسونه من شهوات على مستوى علاقتهم بأزواجهم، وما إلى ذلك من أمور وقضايا وأسرار"⁽¹²⁾.

افتتحت الآية الكريمة بالنداء للبعيد وحره (يا)، ويقتضى التنبيه على شرف المخاطب و بعد منزلته وعظيم شأنه الذي يستدعي منه التنبيه واليقظة والحضور التام مع استنهاض جميع ملكاته العقلية والوجدانية والحسية لتلقي أمر هام⁽¹³⁾،

فحسب، وأكثر مجيء لها كان في سورتي التوبة والنور حيث وردت هذه اللفظة ست مرات في سورة النور، وخمس مرات في سورة التوبة، ومرة واحدة في سورة الأحزاب.

إن مجيء هذه المفردة بهذه الصيغ والاشتقاقات المتنوعة، يدل دلالة واضحة على عناية القرآن الكريم بموضوع الاستئذان؛ نظراً لما له من أهمية بارزة إذ يشكل ركناً أساسياً في المنظومة الأخلاقية التي تنظم آداب المعاشرة والمخالطة بين المسلمين بما يحفظ خصوصياتهم ويصون عوراتهم ويحفظ حرمتهم وتربية النشء تربية سليمة، وهذا بدوره يديم الألفة بينهم ويزيل الوحشة ويرفع الحرج والضيق من المباغته والمفاجئة دون سابق إشعار ويجنبهم الوقوف في مواطن الريبة والتهم.

ونجد في سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم الأمر بالاستئذان في أحاديث كثيرة بعضها يأمر بوجود الاستئذان على المحارم وعلى الأم والأخت الأمر الذي يظهر إن الاستئذان لم يشرع من أجل ألا تقع العين على العورات فحسب بل لكونه يحمل في طياته بعداً نفسياً يتجلى في الحفاظ على خصوصيات الآخرين واحترام حرمتهم الشخصية وحالتهم النفسية.

المبحث الثاني: القضايا البيانية والتشريعية في آيات الاستئذان وفيه مطالب.

المطلب الأول: الآية الأولى

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: 27]

بعد أن شدد الله سبحانه في الزجر والنهي عن ارتكاب جريمة الزنا وبيان حده على المحصن وغير المحصن سرد حادثة الإفك وإعلان براءة السيدة عائشة وبيان الوعيد الشديد لكل من كانت له اليد الطولى في ترويج الإشاعات والأباطيل حول أم المؤمنين اتبعه ببيان عقوبة القذف ورمي المحصنات المنتهي إلى اللعان والتفريق بين الزوجين شرع في بيان الاجراءات الوقائية اللازمة الكفيلة بتطهير المجتمع المسلم من تلك الجريمة بما يضمن البعد عن كل مواطن الريب والشبهات والدخول في دائرة التهم والظنون السيئة التي تؤول إلى الطعن في الأعراض فشرع غض البصر والاستئذان، وهذه هي الآية الأولى من آيات الاستئذان، جاءت بعد آيتي حادثة الأفك والقذف، بعد سياق الحديث عن حادثة الإفك وإعلان تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها والوعيد الشديد الذي توعد الله به الذين تولوا كبر إشاعة تلك الفرية حول أم المؤمنين على وجه الخصوص والوعيد لكل من تسول له نفسه قذف نساء المؤمنين واتهامهن بالباطل عموماً.

اللفظة القرآنية وهذا يمثل وجهاً من وجوه إعجاز القرآن المتمثل في بلاغته وبيانه.

يرجع سر اختيار لفظ (البيوت) لما تحمل في طياتها من معنى خفي لا يتحقق في غيرها، فإنما هي محل البيات حيث تكون العورات مظنة أن تكون مكشوفة غير مستورة (21)، كما أن كلمة بيت نفهم منها أنه ما أعد للبيتوتة، حيث يأوي إليه الإنسان آخر النهار ويرتاح فيه من عناء اليوم (22) فالبيت هو المأوى والمآب ومجمع الشمل (23) وهو الساحة الطبيعية للحياة الخاصة العائلية والشخصية (24).

ولما كانت كذلك وجب الاستئذان صوتاً لحرمتها وحرمة قاطنيتها لتحقيق الغرض الذي أنشأت لأجله بتوفير السكنية والطمأنينة والراحة. يقول سيد قطب: " جعل الله البيوت سكناً، يفيء إليها الناس ؛ فتسكن أرواحهم ؛ وتطمئن نفوسهم ؛ ويأمنون على عورتهم وحرمتهم، ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب ! والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرماً آمناً لا يستبيحه أحد إلا بعلم أهله وأذنهم. وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا عليها الناس" (25).

أما الدار فمشتقة من الثلاثي (دور) وهو كما يقول ابن فارس: " أصل واحد يدل على إحداق الشيء بالشيء من حواليه. والداري: الدهر؛ لأنه يدور بالناس أحوالاً... ويقال دارت بهم الدوائر، أي الحالات المكروهة أهدقت بهم. والدار أصلها الواو. والدار: القبيلة" (26).

وبهذا يتبين أن الدار لا تلقي تلك الظلال التي توحى بها كلمة البيوت التي تشير إلى مأوى الإنسان الذي ينام فيه ويبين ويتحرر من التكلف والتستر في اللباس لذا جاء النهي عن اقتحام دخولها دون سابق استئناس حفاظاً للعورات وصيانة لها. ومما يلحظ مجيء لفظة البيوت نكرة منونة ﴿ بيوتاً ﴾ وفيه دلالة واضحة على التعميم، فالنهي جاء يعم كل البيوت التي تحقق فيها معنى المأوى الذي يستراح فيه ويسكن إليه بلا تكلف في اللباس والتستر دون تخصيص بعضها دون بعض.

جعل الباري النهي عن الدخول مغياً بالاستئناس والسلام على أهل تلك البيوت وهذا ما أفادته (حتى).

﴿ تستأنسوا ﴾ فعل مضارع مشتق من الثلاثي (أنس)، الفعل الماضي منه (استأنسوا)، والألف والسين والتاء تفيد معنى الطلب والمعنى: تطلبوا الأنا، والأنا معلوم معناه في اللغة وهو " ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش" (27)، لكن مجيئه في الآية للتعبير عن الاستئذان مما أشكل على كثير من المفسرين. يقول الشنقيطي: "علم أن هذه الآية الكريمة أشكلت على كثير من أهل العلم، وذلك من أجل

لما يسهم به الاستئذان عند دخول البيوت في صيانة العورات والحفاظ على الخصوصيات والبعد عن مواطن التهم والريبة والقبل والقال. كما أن النداء بصفة الإيمان يقتضي القرب من الله الذي يتطلب الرضا والتسليم والمبادأة للامتثال والمصارعة إلى التطبيق الفوري (14).

والتعريف بالموصولية في قوله: يا أيها الذين آمنوا للتبني على أن الموصوفين بهذه الصلة من شأنهم أن يتقبلوا ما سيؤمرون به، فخلق بالإيمان أن يكون باعناً على طاعة الله وامتنال أوامره وتشريعاته الواردة في الآية (15).

ووصفهم ب الذين آمنوا جار مجرى اللقب لهم مع ما يؤذن به أصله من أهليتهم لتلقي هذا النهي بالامتثال والاستجابة (16) فإذا كان التكليف قد انصرف للمؤمنين على اعتبار أنهم الصالحون للخطاب، فإن اختيار صفة الإيمان جاءت للدلالة على أن هذه التكليف لأهميتها في صيانة المجتمع المسلم من الرذائل والمحافظة عليه نظيفاً نقياً فإنها تحتاج إلى أن يتغلغل هذا الإيمان في قلوب أصحابه حتى يكون وصفاً دائماً ثابتاً راسخاً لهم لا ينفك عنهم بحال من الأحوال ثم جاء بصيغة (الجمع) ليشمل المؤمنين جميعاً.

وبعد هذا النداء جاء النهي الصريح عن دخول بيت الآخرين دون حصول الاستئناس والتسليم على أهل البيت، والدخول مصدر مشتق من الثلاثي (دخل) وهو "الولوج" (17). وقد جاء في الآية الكريمة بصيغة النهي ﴿ لا تدخلوا ﴾ التي تدل على طلب الكف و تقتضي الفورية في الامتنال، وتفيد التكليف الإلزامي بالترك وعدم الفعل، و النهي المجرد عن القرآن يفيد التحريم كما هو مقرر في الأصول (18).

وفي اختيار صيغة المضارعة للفعل ﴿ تدخلوا ﴾ نكتة بيانية إذ تفيد التجدد الاستمراري (19)، فكما أرادوا دخول بيت الغير ينبغي بل ويجب قبيل ذلك الاستئناس والتسليم على أهله ويحرم دخولها قبيل تحقق هذين الأمرين.

لكن السؤال الذي ينهض هنا لم ذكرت البيوت دون الدور؟ وما الفرق بين البيوت والدور؟ وهل يختلف المعنى بينهما أم أنها مجرد كلمات تحمل نفس المعنى؟

يمتاز القرآن عن سائر أجناس الكلم بالدقة البيانية البالغة حد الإعجاز الذي تتكشف أسراره يوماً بعد يوم، لذا سقطت كل نظريات الترادف التام في القرآن وإن ثبت- عند بعضهم في اللغة يقول ابن عطية: "وكتاب الله تعالى لو نزعته منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة غيرها لم يوجد" (20)، لذا يجب أن نكون على يقين أن الله تعالى لم يقل في كتابه العزيز إلا صدقاً، وهو إن جاء بلفظ في مكان فلائنه لا يصلح أن يكون غيره فيه، فمهما قرب المعنى إلا أن هناك دقة في اختيار

1- من ناحية اللغة فكلا اللفظين مختلفان في الاشتقاق والمعنى، فالاستئذان مشتق من الثلاثي أذن وهو كما يقول صاحب (مقاييس اللغة): " (أذن) الهمزة والذال والنون أصلان متقاربان في المعنى، متباعدان في اللفظ، أحدهما أذن كل ذي أذن، والآخر العلم؛ وعنهما يتفرع الباب كله. فأما التقارب فبالأذن يقع علم كل مسموع " (36).

أما الاستئناس مشتق من الثلاثي أنس وهو كما يقول صاحب (مقاييس اللغة): " (أنس) الهمزة والنون والسين أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش. قالوا: الإنس خلاف الجن، وسُموا لظهورهم. يقال أنست الشيء إذا رأيته. قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ آنستُمْ مِنْهُ رُشدًا ﴾ [النساء 6]. ويقال: أنست الشيء إذا سمعته. والأنس: أنس الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه. والعرب تقول: كيف ابن إنسك؟ إذا سأله عن نفسه " (37).

2- الاستئناس أدق في التعريف وأدل على الاستعلام، لأن الاستئذان الإذن المجرد، وتتحقق الإجابة بالإذن، أما الاستئناس فطلب الأنس وإزالة الوحشة، وذلك لا يتحقق بمجرد الإذن بل لابد لتحقيقه من إيجاد الألفة، وهو يتضمن في تحقيق طلب الإذن، والاستجابة بالإذن فعلا (38).

3- الاستئناس أعم وأشمل من كلمة (الاستئذان) فالاستئذان طلب الإذن بالدخول أو عدمه، أما الاستئناس: فهو معرفة التهيؤ ومدى استعداد المزور للأنس بالزائر، وفيه تلمس الحالة النفسية، والرغبة الوجدانية، لأصحاب البيت، ومن ذلك اختيار الوقت المناسب، واستخدام (التليفون) وغيرها من وسائل التواصل لتعرف الاستعداد لتقبل الضيف، ورضاهم عن زيارته أم لا (39).

4- «تستأذنون» تفيد معنى الاستئذان بالدخول فقط، أما جملة « تستأذنون » فهي مشتقة من «أنس» وفيها معنى زائد عن الاستئذان وهو الاستئذان المرافق للمحبة واللفظ والمعرفة والإخلاص، وتبين وجوب أن يكون الاستئذان برفق وأدب وصدقة، بعيداً عن أي حدة وسوء خلق (40). يقول الشيرازي: " ولو تبحرنا في هذه الجملة على هذا الأساس لوجدنا فيها الكثير من الأدب الذي يدور حول هذا الموضوع، وهو يعني ألا تصرخوا وألا تفرعوا الباب بقوة، وألا تستأذنونوا بعبارات حادة، وألا تدخلوا حتى يؤذن لكم، فتسلموا أولاً سلاماً يستبطن مشاعر السلام والود ورسالة المحبة والصدقة" (41).

وخير ما يفرق بينهما القرآن الكريم نفسه، فالاستئذان جاء بمعنى طلب الأذن وقد استخدم في سياقين الأول استئذان المناقبين في التخلف عن الخروج للجهاد مع الرسول صلى الله عليه وسلم وآداب الاستئذان قبيل الدخول على بيوت الآخرين

التعبير عن الاستئذان بالاستئناس. ومما ذكر في معنى تستأذنون وجوه:

الوجه الأول: أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو ضد الاستيحاش؛ لأن الذي يفرح باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له استأنس وزال عنه الاستيحاش، ولما كان الاستئناس لازماً للإذن أطلق للآذن، وأريد ملزومه الذي هو الإذن.

الوجه الثاني: هو أن يكون الاستئناس بمعنى الاستعلام، والاستكشاف. فهو استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً أو علمه. والمعنى: حتى تستعملوا وتستكشفوا الحال، هل يؤذن لكم أو لا " (28).

الوجه الثالث: الاستئناس كناية عن الاستئذان ومرادف له (29) يقول الزمخشري في هذا الوجه بعد أن ذكره: " وهذا من قبيل الكناية، والإرداف؛ لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الأذن " (30).

الوجه الرابع: معناه حتى تؤنسوا أهل البيت بالتحنن والتختم والتسبيحة والتحميدة والتكبيرية وما أشبهه، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم (31). وحجتهم ما يروى عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: قلنا: يا رسول الله، ما الاستئناس؟ قال: " يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرية والتحميدة ويتحنن: يؤذن أهل البيت. والتسليم أن يقول: السلام عليكم، أدخل؟ ثلاث مرات؛ فإن أذن له وإلا رجع " (32).

الوجه الخامس: وقيل يحتمل أن يكون مشتقاً من الإنس وهو أن يتعرف هل ثم إنسان (33).

أقول: لا إشكال في الآية فالباري عبر عن الاستئذان ب (الاستئناس) لنكة بلاغية، ومن أجمل ما قيل في المعنى الكامن وراء ذلك ما سطره يراع (34) الأستاذ سيد قطب حيث يقول: " ويعبر عن الاستئذان بالاستئناس - وهو تعبير يوحي بلطف الاستئذان، ولطف الطريقة التي يجيء بها الطارق، فتحدث في نفوس أهل البيت أنسا به، واستعداداً لاستقباله. وهي لفظة دقيقة لطيفة، لرعاية أحوال النفوس، ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم، وما يلبسها من ضرورات لا يجوز أن يشقى بها أهلها ويحرجوا أمام الطارقين في ليل أو نهار " (35).

ومع إجلالنا لشيوخ المفسرين الإمام الطبري وشيخ البيان الإمام الزمخشري إلا أننا نرفض قولهما القائل أن الاستئذان والاستئناس مترادفان لأننا - وكما سبق أن أشرنا وأكدنا - لا ترادف في القرآن، فكل كلمة في القرآن جاءت تؤدي معنى وغرضاً لا يصلح أن تؤديه غيرها، فضلاً عما قاله الأستاذ سيد قطب فثمة فروقاً دقيقة بين كلا اللفظين (الاستئذان والاستئناس) أشار إليها المفسرون، يمكن إجمالها فيما يلي:

رضي الله عنه (45)، ولمعارضته للقاطع المتواتر وهو قراءة تستأنسوا والقاعدة أن معارض القاطع ساقط وأن الرواية متى خالفت رسم المصحف فهي شاذة لا يلتفت إليها ولا يعول عليها، ولأن القراء لم يرووا غير قراءة تستأنسوا، فلو كان ذلك النقل صحيحاً عن ابن عباس لنقلوا عنه أنه قرأ تستأنسوا (46).

وقد ختم سبحانه الآية الكريمة بقوله عز من قائل: { ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ } وجاءت الإشارة إلى هذه الآداب الكريمة باسم إشارة للجمع (ذلكم)، لأن الخطاب لمن وجه إليهم الخطاب في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ } كان بلفظ الجمع، لأن المخاطبين جمع. وقوله { ذلكم } أي الاستئذان مع التسليم، وجاء التعبير باسم الإشارة للبعد (ذلكم) للدلالة على رفعة تلك الأحكام والآداب وعلو شأنها لما فيها من وجوه الخير ما يجلب الكلام عن وصفه فيها " تصان الأعراس، وتستر العورات، ولا يكون نطاق اتهام، ونفور بالاستيحاش، وحيث كشفت الأستار كانت الفتن وكان ظن السوء، فتسود القطيعة، والتفاحش، ورمى الأبرياء " (47).

والفعل { تَذَكَّرُونَ } متعلق بمضمر أي أمرتم به أو قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعضوا وتعملوا بموجبه (48)، و لفظ (لعل) يفيد الترجي في حق المكلفين، وجاء في الآية تعليلاً للنهي عن دخول بيوت الغير دون استئناس بما يوحي بعلو الحكمة وبعد الغاية التي تصعب الإحاطة بجميع مفرداتها وجوانبها، على معنى ما في الاستئذان من احترام خصوصيات الآخرين وحفظ العورات وغيرها، لعلكم بكل هذا تتركون تلك الغاية أو رجاء أن تذكروها، وهو معنى ينطوي على مواصلة الجد والاجتهاد للوصول إلى تلك الحكمة، وفي هذا بعث لكوامن النفس وإيقاظ لكل أبعادها للامتثال لهذا التشريع الإلهي.

التذكر خلاف النسيان وهو استحضار ما كان منسياً في الذهن، واختيار هذه اللفظة دون غيرها كفاصلة قرآنية يوحي أن هذه الآداب والأخلاق الواجب مراعاتها قبيل دخول بيوت الآخرين كانت معروفة بين العرب أنها محامد، فالأمر بها، والتحريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها ولكنهم تناسوه (49). يقول الشيرازي: "ومما يلفت النظر في هذا الحكم الذي يتصف بأبعاد إنسانية وعاطفية واضحة، مرافقته لجملتين أولاهما: (ذلكم خير لكم) وثانيهما: (لعلكم تذكرون) وهذا بحد ذاته دليل على أن لهذه الأحكام جذوراً في أعماق العواطف والعقول الإنسانية، ولو دقق الإنسان النظر فيها لتذكر أن فيها الخير والصلاح " (50).

وأما مجيء الفعل (تذكرون) بصيغة الجمع فلأن الخطاب عام لجميع المكلفين، ويقتضي بالضرورة أن تلتزم الأمة بتلك الآداب بدءاً بالفرد وانتهاءً بالمجتمع والأمة.

وبين أصحاب البيت نفسه في أوقات تكشف العورات وأدب استئذان أصحاب رسول الله منه قبيل الذهاب والانصراف إلى شؤونهم. في حين استخدم أنس في سياق إِبصار كليم الله موسى عليه السلام النار وفي سياق الاستئناس قبيل دخول بيوت الآخرين والوقت الذي يجب أن يدفع فيه الوصي مال اليتيم عند بلوغه سن الرشد.

عود على بدء نلاحظ أن الباربي عطف الأمر بالسلام على الاستئناس وجعل كلاهما غاية للنهي عن دخول البيوت تنبيهاً على وجوب الإتيان بهما؛ لأن النهي لا يرتفع إلا عند حصولهما (42). و(واو) العطف تفيد معنى التشريك والجمع المطلق. (وتسلموا) معناه معروف وهو إلقاء تحية الإسلام.

وفي اختيار صيغة المضارعة للأفعال (تدخلوا تستأنسوا وتسلموا) نكتة بيانية إذ تفيد التجدد الاستمراري، فكما أرادوا دخول بيت الغير ينبغي بل ويجب قبيل ذلك الاستئناس والتسليم على أهله.

ولا شك أن العطف يقتضي المغايرة، وعليه فإن التنصيص على التسليم لم يأت عبثاً بل جاء ليحقق غرضاً وهدفاً مميزاً و فائدة تختلف عن تلك المرجوة من الاستئذان فحسب، ولعل أول من لفت الانتباه إلى ذلك ابن عاشور حيث يقول: "ليس قرن الاستئذان بالسلام في الآية بمقتضى مساواتهما في الحكم إذا كانت هنالك أدلة أخرى تفرق بين حكميهما وتلك أدلة من السنة، ومن المعنى فإن فائدة الاستئذان دفع ما يكره عن المطروق المزور وقطع أسباب الإنكار أو الشتم أو الإغلاظ في القول مع سد ذرائع الريب وكلها أو مجموعها يقتضي وجوب الاستئذان. وأما فائدة السلام مع الاستئذان فهي تقوية الألفة المتقررة فلا تقتضي أكثر من تأكيد الاستحباب. فالقرآن أمر بالحالة الكاملة وأحال تفصيل أجزائها على تبيين السنة كما قال تعالى: { لتبين للناس ما نزل إليهم } [النحل: 44] (43).

أقول: أرى أن مجيء النظم القرآني بتقديم الاستئناس على التسليم لنكتة بلاغية وبيانية تتجلى في إظهار مزيد من العناية والاهتمام ووجوب مراعاته لما ينطوي عليه من أبعاد نفسية وعاطفية عميقة، كما أن هذا التقديم متوافق مع الحاصل على أرض الواقع يقول شحاته: "ظاهراً أيضاً تقدم الاستئذان على السلام، لأن الأصل في الترتيب الذكرى أن يكون على وفق الترتيب الواقعي" (44).

ومما تجدر الإشارة إليه إلى أنه روي عن ابن عباس قوله في هذه الآية: لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَقَالَ: إِنَّمَا هِيَ خَطَأٌ مِنَ الْكَاتِبِ: «حتى تستأنسوا وتسلموا» فقول غير مسلم ولا يعاباً به لمخالفته ما ثبت في مصاحف الإسلام وصح الإجماع فيها من لدن مدة عثمان

المضارع (تذكرون) كي تتسع لكل حكم الاستئذان وأهدافه متجدد معطاة لا تتوقف مفرداتها عن حفظ أسرار البيوت وعورات أهلها واحترام خصوصيتهم وإرادتهم وحريتهم الشخصية والبعد عن مواطن الريبة والظنون بما يسهم في أدامة الألفة بين قلوب المؤمنين وإزالة الوحشة من صدورهم.

ومن أجمل ما قيل في علة النهي عن دخول بيوت الآخرين دون الاستئناس والاستئذان ما سطره يراع الأستاذ سيد قطب حيث يقول: "لقد جعل الله البيوت سكنا، يفىء إليها الناس؛ فتسكن أرواحهم؛ وتطمئن نفوسهم؛ ويأمنون على عوراتهم وحرمتهم، ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة للأعصاب! والبيوت لا تكون كذلك إلا حين تكون حرما آمنا لا يستبيحه أحد إلا يعلم أهله وإذنه. وفي الوقت الذي يريدون، وعلى الحالة التي يحبون أن يلقوا عليها الناس. ذلك إلى أن استباحة حرمة البيت من الداخلين دون استئذان، يجعل أعينهم تقع على عورات؛ وتلتقي بمفاتيح تثير الشهوات؛ وتهدى الفرصة للغواية، الناشئة من اللقاءات العابرة والنظرات الطائرة، التي قد تتكرر فتتحول إلى نظرات قاصدة، تحركها الميول التي أيقظتها اللقاءات الأولى على غير قصد ولا انتظار؛ وتحولها إلى علاقات آثمة بعد بضع خطوات أو إلى شهوات محرومة تنشأ عنها العقد النفسية والانحرافات. ولقد كانوا في الجاهلية يهجمون هجوما، فيدخل الزائر البيت، ثم يقول: لقد دخلت! وكان يقع أن يكون صاحب الدار مع أهله في الحالة التي لا يجوز أن يراها عليها أحد. وكان يقع أن تكون المرأة عارية أو مكشوفة العورة، هي أو الرجل، وكان ذلك يؤدي ويجرح، ويحرم البيوت أمنها وسكينتها؛ كما يعرض النفوس من هنا ومن هناك للفتنة، حين تقع العين على ما يثير. من أجل هذا وذلك أدب الله المسلمين بهذا الأدب العالي. أدب الاستئذان على البيوت، والسلام على أهلها لإيناسهم. وإزالة الوحشة من نفوسهم، قبل الدخول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ (55).

ولا تقتصر العلة وراء النهي عن دخول البيوت دون استئذان على خشية انكشاف العورات والاطلاع عليها بل هناك بعدا نفسيا آخر وراءه يتجلى في مراعاة الحالة النفسية واحترام مشاعر الآخرين وحريتهم الشخصية. يقول سيد قطب: "إن القرآن منهاج حياة. فهو يحتفل بهذه الجزئية من الحياة الاجتماعية، ويمنحها هذه العناية، لأنه يعالج الحياة كليا وجزئيا، لينسق بين أجزائها وبين فكرتها الكلية العليا بهذا العلاج. فالاستئذان على البيوت يحقق للبيوت حرمتها التي تجعل منها مثابة وسكنا. ويوفر على أهلها الحرج من المفاجأة، والضيق بالمباغثة، والتأذي بانكشاف العورات... وهي عورات

وهنا ينهض سؤال ما هو مفعول تذكرون؟ وما سر حذفه؟ من المعلوم أن حذف المفعول يفيد التعميم حتى تذهب فيه النفس كل مذهب، وهو في الآية يقتضي عظمة الحكمة من مشروعية الاستئذان وفخامتها وشمول فوائدها وبهذا يفسر حذف المفعول وهو سمة بلاغية انتهجها القرآن لأنه أبلغ من الذكر "لأن الذكر يقتصر على وجه، والحذف يذهب من الوهم إلى كل وجه من وجوه التعظيم لما قد تضمنه من التقخيم" (51)

تتوعد عبارات المفسرين في تقدير المفعول المحذوف فمنهم من حملة على أن لكل منا أسرار في بيته وشؤونه الخاصة لا يحب اطلاع الغير عليها كذلك أيضا ينبغي لكل زائر أن يتذكر ذلك الأدب عند إرادته دخول منزل الآخرين. يقول الإمام البقاعي: "ولما كان كل إنسان لا ينفك عن أحوال يكره أن يطلع عليها أو تقطع عليه، قال: {لعلكم تذكرون*} أي لتكون حالكم حال من يرجى أن يتذكر برجوعه إلى نفسه عند سماع هذا النهي، فيعرف أن ما يسوءه من غيره يسوء غيره منه، فيفعل ما يجب أن يفعل معه خوفاً من المقابلة، لأن الجزء من جنس العمل، وكل ما يجب عليه في غير بيته يستحب له في بيته بنحو النحنة ورفع الصوت بالذكر ونحوه على ما أشار إليه حديث النهي عن الطروق لكيلا يرى من أهله ما يكره" (52).

في حين يرى آخر أن تقديره: "أي تذكرون أنكم مؤمنون وأن الله تعالى أمركم بالإستئذان حتى لا يحصل لكم ما يضركم وبذلك يزداد إيمانكم وتسموا أرواحكم" (53). وفي حين يرى ثالث أن تقديره: أن هذا الأدب الرفيع خير مما كنتم عليه في سابق عهدكم بالجاهلية لعلكم تتذكرون حين كنتم تدخلون بيوت غيركم وتقتحمونها بمباغثة دون سابق استئذان، الأمر الذي قد يجعلكم تنظرون إلى عورات أهل البيت التي لا يحبون اطلاع الغير عليها أو ربما تواجهون بالصد والرد غير الكريم. يقول صاحب (التفسير التوحيدي): "ذلكم - الهدي العالي المخاطب للذين آمنوا - هو خير لهم لعلهم يذكرون خيره على ما كان يجري قبل الإسلام من عرف التزاور مرورا عبر المداخل إلى البيوت بغتة دون مهاد استئذان، وكيف كان الدخول سبهلا واقتحاما قد يصادمه الصد تلقاء غير كريم، أو يرى القادم ما يسوء من الوقوع على عورات أهل البيت أو الاطلاع على ما يستسرون به، وذلك ما لا يرضاه المرء لنفسه في بيته ولا يرضاه الله من حسن تلاقي الذين آمنوا تراضيا وأنسا وسلاما بين الوجوه في البيوت. فلعل الذين آمنوا يهتدون ولا تأخذهم العادة والإلفة في سابق التزاور الراتب تهاونا في حرمة البيوت" (54).

وفي ضوء ما تقدم فإن مجيء الحكمة من النهي عن دخول بيوت الآخرين دون تحقق شرطي الاستئناس والتسليم بصيغة

أهلها سواء كانوا أربابها أو سكانها أو من يملكون الإذن بالدخول - فالعبد والصبي والخادم لا يبيح الدخول في البيوت التي لا يوجد بها أصحابها - حتى لو رأى القادمون الزائرون تلك البيوت كأنها خالية موحشة حتى يحصلوا على إذن ملاكها أو ساكنوها⁽⁶⁰⁾.

الثاني: وجوب الرجوع إذا لم يؤذن لهم بالدخول. ومجيء هذه الآية بأسلوب الشرط يفيد معنى المبالغة في التأكيد على مضمون ما سبق في عدم دخول بيوت الآخرين دون إذن مسبق حتى لو كانت خالية من سكانها. يقول ابن عاشور: "جاءت هذه الآية للاحتراس من أن يظن ظان أن المنازل غير المسكونة يدخلها الناس في غيبة أصحابها بدون إذن منهم توهماً بأن علة شرع الاستئذان ما يكره أهل المنازل من رؤيتهم على غير تأهب بل العلة هي كراحتهم رؤية ما يحبون ستره من شؤونهم. فالشرط هنا يشبه الشرط الوصلي لأنه مراد به المبالغة في تحقيق ما قبله ولذلك ليس له مفهوم مخالفة" ⁽⁶¹⁾.

والغاية في قوله: {حتى يؤذن لكم} جاءت لتأكيد النهي بقوله: {فلا تدخلوها} أي حتى يأتي أهلها فيأذنوا لكم ⁽⁶²⁾. وجاء الفعل (يؤذن) بصيغة الفعل المبني للمجهول ليعم ويشمل الإذن دلالة وشرعاً ⁽⁶³⁾.

ومما يلحظ أن القرآن لم ينص صراحة على العلة التي من أجلها ورد النهي عن دخول بيوت الآخرين الخالية من أهلها وسكانها والذي يقتضي التحريم، ولعل في هذا دعوة لإطلاق العنان للتدبر والتفكير والاجتهاد لمعرفة ما ينطوي عليه هذا الأدب الإسلامي من أسرار وحكم، وقد تعدد اجتهادات المفسرين في الكشف عن هذه العلة منها:

- لجواز أن يكون هناك أحوال مكتومة يكره إطلاع الداخل عليها، فإن خبيئات البيوت عورات لها، والدخول من غير إذن قد يؤدي إلى الاطلاع على هذه العورات فالإنسان كله عورة لا يحب أن يطلع عليه أحد. وأول من كان له قصب السبق في الإشارة إلى ذلك ما سطره يراع شيخ البيان الإمام الزمخشري حيث يقول: "وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة، ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط، وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها، ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه، وإلا أشبه الغضب والتغلب" ⁽⁶⁴⁾.

- الدخول في البيوت الخالية من غير إذن قد يكون سبب للقليل والقال ⁽⁶⁵⁾.

- ولأنه قد يفعل في البيوت الخالية وغيرها من الأمور

كثيرة، تعني غير ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر هذه اللفظة. إنها ليست عورات البدن وحدها. إنما تضاف إليها عورات الطعام، وعورات اللباس، وعورات الأثاث، التي قد لا يحب أهلها أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيؤ وتجميل وإعداد. وهي عورات المشاعر والحالات النفسية، فكم منا يحب أن يراه الناس وهو في حالة ضعف يبكي لانفعال مؤثر، أو يغضب لشأن مثير، أو يتوجع لألم يخفيه عن الغرباء؟! ولكن كل هذه الدقائق يربعاها المنهج القرآني بهذا الأدب الرفيع، أدب الاستئذان؛ ويرعى معها تقليل فرص النظرات السانحة والالتقاعات العابرة، التي طالما أيقظت في النفوس كامن الشهوات والرغبات؛ وطالما نشأت عنها علاقات ولقاءات، يدبرها الشيطان، ويوجهها في غفلة عن العيون الراحية، والقلوب الناصحة، هنا أو هناك! ولقد وعاهها الذين آمنوا يوم حوخطبوا بها أول مرة عند نزول هذه الآيات. وبدأ بها رسول الله - عليه الصلاة والسلام ⁽⁵⁶⁾.

المطلب الثاني: الآية الثانية

قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿ [النور: 28].

ويستمر الخطاب الموجه للذين آمنوا في هذه الآية فيما يتعلق بحثيئات الاستئذان وهي متصلة اتصالاً وثيقاً بما الآية السابقة متممة لها من عدة نواح أبرزها:

1- هذه الآية جاءت لبيان حكم البيوت الخالية عن أهلها وسكانها، أما الآية الأولى فجاءت لبيان حكم البيوت التي فيها أهلها وسكانها ⁽⁵⁷⁾.

2- هذه الآية تفريع على الآية السابقة، فالسابقة فرض فيها الإذن بعد الاستئناس والسلام، وإن كان فيها أناس استأذنوا، واستأنسوا، وسلموا عليهم، وهذه الآية مفروضة في جزء منها في حال إذا لم يجدوا أحداً، والجزء الثاني مفروض فيه إذا لم يكن إذن، بل كان الأمر بالمنع والرجوع ⁽⁵⁸⁾.

3- هذه الآية جاءت تأكيداً لأمر الاستئناس - الوارد في الآية السابقة - وأنه لا بد منه والأمر دائر عليه، ففي الآية الكريمة السابقة وصانا ربنا تبارك وتعالى بالاستئناس والسلام قبل دخول بيوت ليست لنا، وكأنما جاءت الآية على أثرها لتؤكد أنه إذا لم يؤذن لنا فلا حق للمستأذن في الدخول، وإن طلب إليه أصحاب الدار أن يرجع فليرجع ⁽⁵⁹⁾.

وعود على بدء لنقف على ما جاء في ثنايا الآية الكريمة من أحكام شرعية ونكات ودقائق ونفائس بيانية.

تضمنت الآية الكريمة حكيمين تشريعيين:

الأول: تحريم دخول بيوت الغير إذا لم يكن فيها أحد من

والقرآن بهذا الأدب الرفيع يعلمنا قبول الحق والصراحة في قول الحق دون مهادنة وتحامل على النفس. يقول ابن عاشور: وفي هذا أدب عظيم وهو تعليم الصراحة بالحق دون المواربة ما لم يكن فيه أذى. وتعليم قبول الحق لأنه أطمئن لنفس قابله من تلقي ما لا يدري أهو حق أم مواربة، ولو اعتاد الناس التصريح بالحق بينهم لزالته عنهم ظنون السوء بأنفسهم (74).

ختمت الآية بقوله تعالى ﴿والله بما تعملون عليم﴾ وهنا جاء التعبير بالألوهية وإظهار لفظ الجلالة لغرضين (75):

- لتربية المهابة في النفس بغية الامتثال والمصارعة إلى الطاعة مع الإشعار بعظمتها والنهي عن غشيان بيوت الآخرين حتى لو حل خلوها من سكانها دون إذن مسبق.

- لإدخال الوعيد في نفوس المخاطبين ففيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى، ليزدجر أهل الإلحاح عن إلحاحهم بالتثقيل، وليزدجر أهل الحيل أو التطلع من الشقوق ونحوها، فبعض الناس قد يدفعهم حبّ الإطلاع والفضول حين رفض استقبالهم على استراق السمع، أو التجسس من ثقب الباب لكشف خفايا أهل المنزل وليطلع على أسرارهم (76) وقدم البارئ الجار والمجرور (بما) على الفعل (تعملون) للدلالة على المبالغة في العلم، فالله سبحانه {عليم*} لا يخفى عليه شيء وإن دق، عالم بدخائل النفوس ووساوس الصدور (77)، وقدم {بما تعملون} على {عليم} للأهمية وللإختصاص (78).

يقول صاحب (التفسير التوحيدي): "بل تتعزز تقوى الكف عن العدوان على حرم بيوت الآخرين بأنه إذا صدر صوت ولو من مجهول قيل فيه للقادمين الزوار أن يرجعوا مدبرين عنها أو أن يتربصوا حيناً حتى يتيسر الدخول أو يرتدوا ليرجعوا لأجل ثان أو موعود عندئذ لا يجوز الاستكفاف عن تقبل تلك المواجهة بالصد الصريح أو التبطئة أو التأجيل ولا أن تطلق كلمة رد غاضب أو عاتب والحق أن يتجاوز القادمون راجعين أو منتظرين عن طيب نفس وربما بعد تحية الوداع. ذلك هو أزكى لهم رقياً في درج أدب الخلق الحليم والاحترام للحرمان التي تعني الآخرين وحققهم في حوز بيوتهم وفتحته أو الصد عنه وهو تواضع أظهر من نزع الإصرار على التعدي على الآخرين. والله بما يعمل القادمون عليم بالغ العلم بمقدمهم مدخلا بالمعروف أو زيارة طيبة أو مقربة للتجسس على بيوت الآخرين ويتصرفهم إذا سمعوا ردا صارفا لهم انصارفا جميلاً أم ثلثاً ملحا ليحمل أهل البيت على الاستقبال ولو كارهين لمن يريد قضاء حاجته أولاً، أم توقفا من بعد ليسترقوا النظر إلى البيت الذي صدوا عن دخوله، وعليهم وبخلقهم الرشيد ألا يجدوا غضاضة في احتجاب أهل البيت ولا وحرا في صدورهم بل ينقلبوا صيرا حسنا أو رجاء للعودة في وقت تكون أحوال أهل

الخفية والمنكرات والمعاصي ما لا يعلمه إلا الله (66) جاءت الآية تحمل في طياتها الوعيد والتهديد لمن يستغل تلك الأماكن من أهل الريب وغيرهم.

أرى أن هذه الوجوه كلها محتملة ولا تنافي بينها، فالقرآن حمال ذو أوجه.

ولا زال الخطاب موجه للقادمين الزوار لكن هذه المرة حال الأمر بالرجوع والإنصراف: { وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ }: أي وإن قال لكم أهل البيت ارجعوا فارجعوا، ولا تلحوا في الدخول ولا تقفوا على الابواب منتظرين لما فيه من إيذاء لأصحاب البيت (67).

ولعلك تسأل ما السر في أن الله سبحانه لم يقل: فإن لم يأذنوا، بل قال { وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا } ؟ أقول: إنما جيء بذلك للإشارة إلى: "أن عدم الإذن يتضمن الأمر بالرجوع يفهمه ذو الإحساس المرفه المدرك المنفذ لما يكون فيه حفظ للمروءة وصون للكرامة، وذلك يشير إلى منع اللجاجة، وألا يدخلوا بيوتاً لا يرغب في دخولهم أصحابها" (68).

ولما كان المنع من الدخول يجلب غضاضة في الصدر واستتقلاً على النفس، وعد سبحانه عليه بما يجبر ذلك، فقال على طريق الاستئناف: { هو } أي الرجوع { أزكى }، وصيغة (أفعل (في قوله) أزكى) (صيغة تفضيل) والظاهر أن صيغة أفعل في الآية تفيد المبالغة، وعلى هذا يكون المعنى هنا: "ارجعوا فإن الرجوع أفضل وخير لكم من أن يأذنوا على كراهية (69) و أظهر لكم في دينكم وديناكم المبعد عنكم مقالة السوء (70) لأن رب الدار قد يستوحش ويتأذى بوقوف غيره على بابه بعد منع الاستئذان، ولما في ذلك من الدناءة والتسكع على بيوت الناس، وربما ظن بأهل البيت سوءاً من وقوف الأجانب على أبوابهم" (71) و(أزكى) من الزكاة، وأصلها "النمو الحاصل من بركة الله تعالى في الأمور الدنيوية والأخروية" (72) وما أجمل هذه اللفظة (الزكاة) وهي تحمل في طياتها معاني الطهر والنقاء والبركة الحسية والمعنوية في حياة المؤمنين.

ومن أجمل ما قيل فيما يوحي به لفظ (أزكى) من معان جليلة تحت المؤمن على المصارعة في الاستجابة لأمر الله والامتثال له فتسمو بروحه وتطهرها ما سطره يراع سيد قطب حيث يقول: والشعور بأن الله يريد ما هو أزكى وما هو أظهر من شأنه أن يستحث المؤمن للاستجابة، واعتنام الزكاة والطهر. لنفسه وللمجتمع من حوله. ولمس القلب بأن الذي يختار له هذا الطريق هو الله الذي يعلم ما لا يعلمه الناس من شأنه أن يسارع به إلى الاستجابة كذلك في رضى وفي استسلام. وهكذا يرفع الأمر كله إلى أفق العبادة، ويعلقه بعروة الله، ويظهره من شوائب الأرض، وأدران الحياة" (73).

البيت أنسب لأن يستقبلوا من يمادهم للتزاور أخوة بين المؤمنين" (79).

المطلب الثالث: الآية الثالثة

يقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾

[النور: 29]

هذا تفصيل آخر يتصل بحديثيات الاستئذان فبعد بيان حكم الاستئذان عند إرادة دخول الدور المملوكة المسكونة جاءت هذه الآية بإباحة ورفع الحرج جراء دخول الدور غير المسكونة التي لا اختصاص لها بأحد الناس دون أحد رفعا للحرج والمشقة، فجاءت متممة لمضمون ما سبقها ومخصصة لعموم قوله ﴿بيوتاً غير بيوتكم﴾.

ويلحظ أن الآية صدرت بقول الباري ﴿ليس عليكم جناح﴾ وهو كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما قبله (80) والجناح الإثم، وجاء نكره ليعم، أي (أي شيء من الإثم والحرج الذي من شأنه أن يميل بصاحبه عن السواء) (81) والمعنى ليس هناك إثم أو أدنى حرج في أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ما دامت علة الاستئذان منتفية.

وقيد سبحانه وتعالى البيوت التي يباح دخولها دون استئذان بكونها ﴿غير مسكونة﴾، والمسكونة في اللغة اسم مفعول من الثلاثي (سكن) وهو "يدلُّ على خلاف الاضطراب والحركة" (82) والسكون: ثبوت الشيء بعد تحرك، ويستعمل في الاستيطان نحو: سكن فلان مكان كذا، أي: استوطنه، واسم المكان مسكن، والجمع مساكن (83). ومعنى كون البيوت غير مسكونة أنها غير مأهولة على حالة الاستقرار أو غير مأهولة البتة (84).

هذا وتجدر الإشارة أن لفظ (سكن) بكافة مشتقاته وتصاريفه ورد في القرآن في (43) موضعا في سور مكية ومدنية، منها: جاء لفظ السكن مقترباً بالبيوت في موضع واحد في سورة النحل وهي التي تسمى سورة النعم في سياق جملة النعم التي امتن الله بها على عباده ليحضمهم على توحيد عبادته وشكره في قوله تعالى: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ [النور: 80: النحل]. وجاء مقرونا بالليل في قول الباري ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [96: الأنعام]، وجعل تحقق السكنية هي الغاية والحكمة من مشروعية الزواج في قول الباري: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [21: الروم]

وفي هذا التعبير تطوي أسرار من الإعجاز البياني والتشريعي ف(السكن) بكافة مشتقاته وتصاريفه لفظ يوحي بمعاني الطمأنينة والاستقرار والراحة والهدوء للجسم والقلب والأعصاب والروح والنفس. وفي هذا إحياء إلى أن البيوت

ينبغي أن تتحقق فيها تلك المعاني الجليلة فيسودها الاستقرار والطمأنينة والسكينة بعيدا عن الشقاق والنزاع الذي يحول الحياة إلى جحيم، ومن أروع ما قيل في ذلك ما سطره يراع لأستاذ سيد قطب - رحمه الله - حيث يقول: " فهكذا يريد الإسلام البيت مكاناً للسكينة النفسية والاطمئنان الشعوري. هكذا يريد مريحاً تطمئن إليه النفس وتسلم وتأمين سواء بكفايته المادية للسكنى والراحة، أو باطمئنان من فيه بعضهم لبعض، ويسكن من فيه كل إلى الآخر. فليس البيت مكاناً للنزاع والشقاق والخصام، إنما هو مبيت وسكن وأمن واطمئنان وسلام. ومن ثم يضمن الإسلام للبيت حرمة، ليضمن له أمنه وسلامه واطمئنانه. فلا يدخله داخل إلا بعد الاستئذان، ولا يقتمه أحد بغير حق باسم السلطان، ولا يتطلع أحد على من فيه لسبب من الأسباب، ولا يتجسس أحد على أهله في غفلة منهم أو غيبة، فيروع أمنهم، ويخل بالسكن الذي يريده الإسلام للبيوت، ويعبر عنه ذلك التعبير الجميل العميق! " (85).

ومن هنا نتجلى لنا بوضوح الحكمة التي من أجلها الله سمح بدخول البيوت غير المسكون دون إذن لأنه لا يترتب على الدخول إليها كشف للأستار، ولا انتهاك للحرمت، ولا تهجم (86)، فلكونها غير معدودة للسكنى تجعل القاطن بها غير محترز من دخول الغير إليها بل هو على استعداد لمن يغشاه فهي لا تخلو من أن تكون خاوية من الساكن (87).

وقيد آخر قيد به الشارع تلك البيوت التي أباح دخولها بلا استئذان في قوله: ﴿فيها متاع لكم﴾ وهي صفة ثانية ل (بيوتاً). والمتاع: "أصلٌ صحيح يدلُّ على منفعة وامتدادٍ مُدَّةٍ في خير. والمتعة والمتاع: المنفعة في قوله تعالى: ﴿بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ [النور 29] (88) " ويقال لما ينتفع به في البيت: متاع. وكل ما ينتفع به على وجه ما فهو متاع ومنتعة، وعلى هذا قوله: ﴿ولما فتحوا متاعهم﴾ [يوسف: 65] أي: طعامهم، فسامه متاعاً، وقيل: وعاءهم، وكلاهما متاع، وهما متلازمان؛ فإن الطعام كان في الوعاء. وقوله تعالى: ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف﴾ [البقرة: 241] فالمتاع والمنتعة: ما يعطى المطلقة لتنتفع به مدة عدتها " (89).

وتتكرر لفظ (متاع) فيه دلالة واضحة على العموم وعدم تحديده بأشياء مخصوصة، ومعناه: طعام أو أي شيء يقتني وينتفع به من فرش وثياب، وأمتعة، وغيرها.

واختلفوا في المراد بهذه البيوت على أقوال (90): فقد قيل: المراد بذلك الفنادق في طرق السابلة (أبناء السبيل). وقيل: حوانيت البياعين. وقيل: الحمامات. وقيل: دور العلم. وقيل: الأسواق يأتيها الناس من كل مكان للشراء والاتجار. وقيل: بيوت الخلاء يقضي فيها الحاقن حاجته.

الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمَنْ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ [النور: 58].

بعد فاصل ليس بالقصير تناولت فيه السورة جملة من الأحكام والآداب التي تضمن سلامة المجتمع وطهارته ونقائه وبعده عن أسباب الغواية والانحراف منها: تحريم الزنا وبيان سائل الوقاية من الوقوع فيه بدءاً من الاستئذان على البيوت و غض البصر والنهي عن إبداء الزينة أمام غير المحارم والحث على الزواج وهو الطريق الأنجع للإحصان وتصريف شهوة الغريزة في قنواتها الصحيحة، تلاها وصف الباري بأنه نور السموات والأرض فهو مصدر النور الحسي والمعنوي الذي نشهد آثاره في تلك الأحكام والآداب الخلقية الواردة في السورة، وانقسام الناس حيال ذلك إلى قسمين قسم اهتدى بنوره فاتبع أوامره فانعكس ذلك سلوكاً سوياً في حياته وقسم لم يهتدي فسار هائماً على وجهه يتخبط في ظلمات الكفر والمعاصي والفسق والفجور والرذيلة، تلاها الدعوة إلى النظر في الآفاق وفي تسييح الخلائق كلها لله، وفي إزجاء السحاب، وفي تقليب الليل والنهار، وفي خلق كل دابة من ماء، التي هي تجليات من نور الله الدالة عليه الشاهدة على وحدانيته، ثم الحديث عن انقسام الناس تجاه أوامر الله وتشريعاته إلى قسمين: المنافقين الذين يحدون عن طاعة الله ورسوله الذين لا يتجاوز الإيمان أفواههم فكان عاقبتهم النار، والمؤمنين الذين أطاعوا الله وما جاء في كتابه من هدي وأخلاق وآداب فكان عاقبتهم الاستخلاف والتمكين في الأرض.

الأول يقول الباري ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بِيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [النور: 27] إلى آخر الآيات، وفي الموضع الثاني يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بِيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [النور: 27] ثم خص هنا فقال: " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ... ﴿ وثمة اتصال وثيق بين الموضعين من عدة وجوه:

الأول : هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بِيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [النور: 27] إلى آخر الآيات، وفي الموضع الثاني يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بِيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [النور: 27] ثم خص هنا فقال: " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ... ﴿ وثمة اتصال وثيق بين الموضعين من عدة وجوه:

والصحيح دخول الجميع في مفهوم هذه الآية فتحمل على الكل؛ فهي كلها مأذون بدخولها من جهة العرف. ولا حاجة للاستئذان بدخوله ؛ لكونها مرافق عامة للناس مهياً لدخولها من غير إذن يقول أبو بكر بن العربي: " أما من فسر المتاع بأنه جميع الانتفاع فقد طبق المفصل وجاء بالفصل، وبين أن الداخل فيها إنما هو لما له من الانتفاع، الطالب يدخل في الخانكان وهي المدارس لطلب العلم، والسكان يدخل الخانات وهي الفنادق، وأي الفنادق، والزبون يدخل الدكان للابتياح، والحاقد يدخل الخلاء للحاجة، وكل يؤتى على وجهه من بابه"⁽⁹¹⁾.

وفي هذا إشارة لطيفة إلى أن من لا منفعة ولا مصلحة له في دخول هذه البيوت لا يؤذن له في دخولها حتى لا يضيق على من يحتاج إلى الانتفاع بها⁽⁹²⁾

وختمت الآية بقول الباري: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَدْبُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ ولنا أن نسال ما سر مجيء الفاصلة على هذه الشاكلة؟ الحق أن هناك معاني تفضل مراعاة الفاصلة، ضرورة أن كل زيادة في المبنى زيادة في المعنى⁽⁹³⁾ بل لا أبالغ حين أقول إن اختيار الفاصلة القرآنية يعد وجهاً من وجوه الإعجاز فهي جاءت تتناسب مع السياق الواردة فيه، وفي هذه الآية تتجلى لنا عدة معان وهي:

أولاً: جاء التعبير بالألوهية وإظهار لفظ الجلالة لتربية المهابة في النفس⁽⁹⁴⁾، بغية الامتثال والمصارعة إلى الطاعة مع الإشعار بعظمتها والنهي عن غشيان البيوت الخالية غير المسكونة.

ثانياً: إدخال الوعيد ففيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى⁽⁹⁵⁾ وهنا (حذف المفعول) حتى تذهب النفس فيه كل مذهب، فلك أن تجعله تهديداً " لأولئك الذين يدخلون البيوت ولا يراعون حرمتها، بل يبيحون لعيونهم ولجوارحهم، مالم تبجعه آداب الإسلام، وتعاليمه، كالتطلع إلى العورات والاطلاع على سوءات الناس وتتبع عورتهم واستراق البصر لما يجري داخل بيوتهم وما يشبه ذلك من المقاصد السيئة. أي: والله - تعالى - وحده يعلم ما تظهرونه وما تخفونه من أقوال وأعمال، وسيحاسبكم عليها، فاحذروا أن تسلكوا مسلكاً لا يرضى خالقكم عنكم "⁽⁹⁶⁾، ولك أن تقول إن فيه وعيداً من الله للذين يدخلون الأماكن الخالية والمواضع المريبة من أهل الريبة والسوء. فإن الله عليم بحالهم سواء فيهم الظاهر والباطن. فهو سبحانه مجازيهم عما كسبته أيديهم من المحظورات والفواحش⁽⁹⁷⁾ ولك أن تجعل في هذا تهديداً ووعيداً لمن يشتم ويسيء القول ويستغيب من لا يأذن له بدخول بيته⁽⁹⁸⁾.

المطلب الرابع: الآية الرابعة

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بِيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [النور: 27] ثم خص هنا فقال: " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ... ﴿ وثمة اتصال وثيق بين الموضعين من عدة وجوه:

الاستئذان(99).

الثاني: ومن الناس من قال الآية الأولى أريد بها المكلف لأنه خطاب لمن آمن، وما ذكره الله تعالى في هذه الآية فهو خطاب لمن ليس بمكلف (الأطفال والذين لم يبلغوا الحلم من العبيد والإماء) فقبل فيه إن في بعض الأحوال لا يدخل إلا بإذن، وفي بعضها بغير إذن(100).

الثالث: هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض الذين يعيشون في دار واحدة. وما تقدم في أول السورة جاء في استئذان الأجانب بعضهم على بعض الذين يدخلون بيوتاً غير بيوتهم. فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدّمهم مما ملكت أيمنهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال(101)، حيث ذكر في أول السورة الأحكام الخاصة بالمجتمع الخارجي، أما هذه الآية فتتعلق بالأسرة في أدق خصوصياتها في الحجرات الخاصة بالمبيت، فجاءت تعلمنا آداب الاستئذان داخل الأسرة المكونة من الأبوين والأبناء، ثم الأتباع مثل الخدم وغيرهم(102).

ومن أوجه ما قيل في مناسبة الآية لما سبقها أن الآيات السابقة تحدثت عن من أبيع له الدخول على النساء من الرجال، ومن أبيع للمرأة إبداء زينتها ومفاتنتها أمامه ومن هؤلاء الأطفال الذين لم يبلغوا سن الشهوة والعبيد فنزلت هذه الآيات مستدركة على ذلك الحكم حتى لا يظن بإباحة دخول هؤلاء على النساء في أي وقت وبدون استئذان(103).

وفي هذه الآية توجه الأمر بالاستئذان لفتنتين هما: ملك اليمين (الذين ملكت إيمانكم) و(الذين لم يبلغوا الحكم) من الأحرار، و سبق الأمر بمقدمات من شأنها أن تحض المؤمنين على الامتثال والطاعة، وما مجيء هذا الأمر من خلال هذه المقدمات إلا لكونه ينطوي على أهمية بالغة وخصوصية تجعله في غاية الاعتبار كيف لا وهو يدخل في صلب تربية الأطفال تربية جنسية، ويعد جزءاً أساسياً في الصحة النفسية السوية يترتب على إغفاله انحرافات جنسية سلوكية شاذة لدى الأطفال وعقد نفسية تؤثر على مستقبلهم والذي ينعكس بدوره على المجتمع، فمن دراسات دقيقة وعديدة تبين أن هذا الطفل الصغير دخل إلى غرفة نوم أمه وأبيه فجأة فرأهما في وضع لا يعرفه. ويمكن إجمال هذه المقدمات فيمايلي:

- أعيد النداء في الآية لاختلاف الغرض الذي جاءت لأجله وللاهتمام به وللإشعار بأنه غرض جدير بالتنبيه عليه لما ينطوي عليه من آداب متعلقة بسلوك المؤمنين في المخالطة فيما بينهم في خاصة بيوتهم(104). كما أن افتتاح الخطاب بالنداء يجيء للتنبيه على أهمية ما يرد بعده لتترببه أسماعهم بشوق و لاهتمام بما سيلقى إلى المخاطبين قصداً

لإحضار الذهن لوعي ما سيقال لهم(105).

- وصفهم بالذين آمنوا حتى أصبح لقباً لهم يشعر بأهليتهم لتلقي هذا النهي بالامتثال(106) وليوميء إلى أن الإيمان هو الذي يقتضي أن يمتثلوا أمره سبحانه(107) يقول سيد طنطاوي: "وقد صدرت الآية الكريمة بندايمهم بصفة الإيمان. لحضهم على الامتثال لما اشتملت عليه من آداب قويمية. وتوجيهات حكيمة" (108).

- مجيء التعريف بالاسم الموصول في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ للتنبيه على أن الموصوفين بهذه الصلة من شأنهم أن يتقبلوا ما سيؤمرون به(109).

ويلحظ أن الآية صدرت بالفعل المضارع المقترن بلام الأمر ﴿ليستأذنكم﴾ وهو أحد صيغ الأمر، و الأمر إما أنه يحمل على الندب والاستحباب أو على الوجوب وهو الراجح(110) وهذا ما عليه الجمهور؛ لأن القاعدة أن الأمر يفيد الوجوب إلا إذا جاءت قرينة تصرفه من الوجوب إلى الندب والاستحباب، وليس هناك قرينة في الآية تصرف الحكم إلى الندب والاستحباب.

أما الفئة الأولى التي توجه إليها الأمر بالاستئذان هي: ملك اليمين ﴿الذين ملكت إيمانكم﴾، وينطوي هذا على أحكام عديدة:

1- ظاهر اللفظ يدل أن المراد الرجال دون النساء؛ لأن (الذين) صيغة للذكور وليس للإناث ولكن الأرجح ثبوت الحكم لكل من (الرجال والنساء) على حد سواء، ولا يقتصر على الرجال فقط لأن الإنسان كما يكره اطلاع الذكور على أحواله يكره أيضاً اطلاع النساء عليها لأنهن في باب حفظ العورة أشد حالاً من الرجال و الحكم ثابت في النساء بالقياس لا بظاهر اللفظ(111).

2- يدخل فيه البالغون والصغار من العبيد والإماء على القول الراجح وهؤلاء إذا كانوا بالغين فيكون الأمر متوجهاً لهم على الحقيقة، وإن كانوا غير بالغين لا يكون أمراً لهم على الحقيقة، إنما يكون أمراً لنا بأن نأمرهم بذلك ونحضهم عليه كما أمرنا أن نأمر الصبي بالصلاة لا على وجه التكليف بل على جهة التدريب حتى يعتادها ولا تشق عليه حال كبره فإن عودناه عليها الآن فإنها تسهل عليه عند سن التكليف، وتتحوّل العادة في حقه إلى عبادة يستمر عليها(112).

أما الفئة الثانية الذي وجه إليهم الأمر بالاستئذان هم ﴿الذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ وهم الذين لم يحتلموا من الأحرار، والحلم هو: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، وجمعه أحلام، وقوله عز وجل: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾ [النور/59]، أي: زمان البلوغ، وسمي الحلم لكون صاحبه جديراً

عورة. العورات: جمع عورة، وهي كل ما يستحيا منه إذا ظهر، وهي من الرجل ما بين السرة والركبة، ومن المرأة الحرة جميع جسدها إلا الوجه واليدين إلى الكوعين.. (120)

وإنما سمي الشارع كل واحدة من هذه الأحوال والأوقات عورة؛ لانكشاف العورات فيها لأن الناس يختلّ تسترهم وتحفظهم فيها، فالغالب في هذه الأوقات الثلاثة أن يكون الإنسان متجرداً عن الثياب مكشوف العورة وغالباً ما يخلو فيها الرجل بأهله (121). فأما (قبل صلاة الفجر)؛ فلأنه وقت قيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وقد يتكشف النائم. وأما بالظهيرة: فلأنها وقت وضع الثياب للقاتلة لأن النهار إذ ذاك يشتد حره في ذلك الوقت. وأما بعد صلاة العشاء؛ فلأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم (122).

والسؤال الذي ينهض هنا هل يقتصر الأمر الذي يقضي بوجود الاستئذان قبيل الدخول إلى الحجرة الخاصة بالأبوين على تلك الأوقات التي نصت عليها الآية أم يشمل غيرها من الأوقات؟ الحق أن هذه الحكم غير مختص بتلك الأوقات، فالعبرة بتكشف العورات، والعلة تدور مع الحكم وجوداً وعدمها، فلو جرت العادة بتكشف العورات في غير هذه الأوقات وجب منع دخول أحد من ملك اليمين أو الأطفال غير البالغين دون إذن، ولو جرت العادة بالاحتشام وعدم التكشف في تلك الأوقات لجاز الدخول فيها بلا إذن كسائر الأوقات. يقول الكيا الهراسي الشافعي: "ولو جرت عادة تقوم بالتكشف في غيرها من الأوقات، فذلك الوقت كهذه الأوقات في منع من لم يبلغ الحلم من الدخول بلا إذن، ولو جرت عادة قوم في الأوقات الثلاثة بالتستر، فالأوقات الثلاثة كغيرها" (123).

هذا ويجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن العلة التي لأجلها جاء النهي عن الدخول في تلك الأوقات التي نصت عليها الآية تدور حول كلمة (عورات)، وفي هذا التعبير تنطوي أسرار من الإعجاز البياني والتشريعي، لكونها تلقي بظلالها ومعانيها وإبحاءاتها فلا تقف عند حدود الاستئذان على الوالدين في أوقات مخصصة هي مظنة تكشف العورات بل إنها تأخذنا بعيداً لتشمل كل ما هو مظنة الاطلاع على العورات ومناظر التعري والتكشف من الصور الفوتوغرافية الإباحية والأفلام الهابطة والفيديو والمجلات والألعاب الخيالية والمواد الإباحية المنتشرة بكثرة على الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنت) والتي لا يسلم منها أحد بل إنها تأتي لمن يريد ولمن لا يريد من خلال الدخول العفوي في مواقع البحث العلمي عبر محركات البحث. وهي من أعظم الطامات والمصائب التي ابتليت به امتنا سيما ونحن نعيش في عصر العولمة والانفتاح العام على

بالحلم، (113)، والتعبير عنه بالحلم لكونه أظهر دلائله (114). يرى الباحث أن هذه الآية تتحدث عن الأطفال الذين يكونون في سن التمييز قبل البلوغ، وذكر الذين لم يبلغوا الحلم يبنى عن أنهم مميزون يستطيعون وصف ما يرون ويشاهدون، يعرفون القضايا الجنسية، ويعلمون ماذا تعني العورة. لهذا أمرتهم بالاستئذان عند الدخول إلى غرفة الوالدين، وهم يدركون سبب هذا الاستئذان (115)، وإذا كان هذا شأن الذين لم يبلغوا الحلم، فبالأولى لا بد من استئذان من بلغوا الحلم، وهذا ما صرحت به الآية التالية ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (116).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا كيف يؤمر الصغار بهذا الحكم وهم غير مكلفين؟ وللإجابة عن ذلك نقول مثلما قلنا في صغار مملوكي اليمين أن الأمر موجه لأولياء الأمور بأن يأمرهم بأطفالهم بالاستئذان في تلك الأوقات كما أمرنا أن يأمرهم بأداء الصلاة في السابعة من عمرهم على سبيل التدريب لا التكليف حتى يعتادوا عليها ولا يجدوا مشقة في امتثالها حال الكبر.

حدد الشارع الحكيم المرات والأوقات المحظور فيها الدخول دون استئذان في قوله: {ثلاث مرات} يعني ثلاث أوقات في اليوم واللييلة؛ لأنه تعالى فسرهن بالأوقات فقال: ﴿من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء﴾ وإنما قيل ثلاث مرات للأوقات، لأنه أراد مرة في كل وقت من هذه الأوقات؛ لأنه يفهم أن يستأذنوا في كل واحد من هذه الأوقات مرة واحدة (117).

وعبر بالمرات عن الأوقات لأن أصل وجوب الاستئذان هو بسبب مقارنة تلك الأوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا نفس الأوقات (118).

ثم جاء النص من الشارع الحكيم على علة إيجاب الاستئذان في هذه الأوقات في قوله: {ثلاث عورات لكم}. والعورة "سوءة الإنسان، وذلك كناية، وأصلها من العار وذلك لما يلحق في ظهوره من العار أي: المذمة، ولذلك سمي النساء عورة، ومن ذلك: العوراء للكلمة القبيحة، والعمار والعورة: شق في الشيء كالثوب والبيت ونحوه. قال تعالى: ﴿إن بيوتنا عورة وما هي بعورة﴾ [الأحزاب/13]، أي: متخرقة ممكنة لمن أرادها، ومنه قيل: فلان يحفظ عورته، أي: خلله" (119) "والعورة: الساعة التي هي قمن من ظهور العورة فيها، وهي ثلاث ساعات: ساعة قبل صلاة الفجر، وساعة عند نصف النهار، وساعة بعد العشاء الآخرة. وفي التنزيل: ثلاث عورات لكم؛ أمر الله تعالى الولدان والخدم أن لا يدخلوا في هذه الساعات إلا بتسليم منهم واستئذان. وكل أمر يستحيا منه:

يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن وإن لم يكن في الأوقات والأحوال الثلاثة التي نصت الآية السابقة على حرمة الدخول فيها دون إذن دفعا لما قد يتوهم أنهم بسبب اعتيادهم الدخول مسموح لهم بالدخول بلا إذن وأنهم ليسوا كغيرهم من الأجانب الذين يمنع دخولهم دون إذن⁽¹²⁷⁾

ولعل سائلاً يسأل عن سر التعبير عن الأطفال بصيغة الجمع لا الأفراد؟ وهل من فرق دلالي بين كل منهما؟ للإجابة عن ذلك نقول بعد الاستقراء تبين أنه لم ترد مفردة (الأطفال) بصيغة الجمع إلا مرة واحدة في هذه الآية في حين أن مفردة (الطفل) لم ترد بصيغة الأفراد إلا في موضعين أحدهما جاء معرفاً بال التعريف في قوله تعالى: ﴿ أَوْ الطُّفْلُ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ [31: النور]، والثاني جاء نكرة في قوله تعالى ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ [5: الحج]

ونستوحي من ذلك أن الأطفال في سن ما قبل البلوغ لم تكن تكونت لديهم الغريزة وليست لهم هذه الميول والمآرب فكأنهم واحد لذا عبر عنهم بالأفراد، وأما بعد البلوغ وتكون الميول الغريزية لدى الأطفال تصبح لكل منهم ميوله وشخصيته وشطحاته لذا عبر عنهم بصيغة الجمع (الأطفال)⁽¹²⁸⁾.

(كما استأنن الذين من قبلهم) الكاف حرف جر يفيد التشبيه، وهذا الأسلوب جيء به في آية الصيام (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) [183: البقرة] والغرض من مجيء هذا التشبيه هو جملة من القيم والحكم⁽¹²⁹⁾:

1- تأكيد الحكم وتهيج المؤمنين نحو هذه الآداب للإفادة منها.

2- تأنيس قلوب المؤمنين وتهيئة نفوسهم للمسارعة في امتثال هذه الآداب من غير تبرم ولا استئثار بغية تحقيق حكمه وغاياته.

3- بيان كيفية استئذان من سبق ذكرهم في الآية السابعة والعشرين من سورة النور وزيادة إيضاحه ولا يتسنى ذلك إلا بتشبيهه باستئذان المعهودين عند السامع، والمعنى: فليستأذنوا استئذاناً كأننا مثل استئذان المذكورين قبلهم بأن يستأذنوا في جميع الأوقات ويرجعوا إن قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف " (130).

وهكذا هو منهج القرآن وهو في طريقه إلى طلب الفعل أو الكف عنه تحقيقاً لمصلحة أو درءاً لمفسدة يسير بالأمة بلطف ورحمة ليأخذ بيدها لقبول الحكم والامتثال له عن رضا وقناعة وهي تربية إيمانية وعناية إلهية تميز بها التشريع الإسلامي عن غيره⁽¹³¹⁾

ثقافات الغير عبر الشبكة العنكبوتية العالمية وفي ظل وجود أجهزة تقنية أصبحت متاحة بين أيدي الجميع شيوياً وشباباً وأطفالاً متصلة بتلك الشبكات العنكبوتية التي تنتشر فيها بكثرة تلك المواد التي تعمل على إثارة الشهوات والغرائز وإيقاد نيران السعار الجنسي المحموم الذي لا ينطفأ لتهديط بالإنسانية إلى مستوى حيواني بهيمي هابط دون أدنى مراعاة للقيم والأخلاق ومعاني الطهر والعفاف.. الأمر الذي أدى إلى ظهور ظواهر غريبة لم نكن نسمع بها من قبل مثل التحرش بالأطفال و الاعتداء على المحارم والاعتصاب والشذوذ بكافة ألوانه (كاللواط والسحاق) وغيرها من سلوكيات منحرفة شاذة.

ولما جرت العادة أن يكون المرء في سائر الأوقات مستتراً غير متكشف في لباس محتشم جاء التشريع الإلهي الحكيم برفع الحرج والإثم عن مملوكي اليمين والأطفال الذين لم يبلغوا الحلم فأجاز لهم الدخول من غير استئذان في غير هذه الأوقات على نحو ما جاء في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ والسبب في ذلك هو أنهم طوافون مترددون في البيت، والطواف مشتق من الثلاثي (طوف) وهو أصل واحد صحيح يدل على دَوْران الشيء على الشيء، وأن يُحْفَ به. ثم يُحْمَلُ عليه، يقال طاف به وبالببيت يطوف طَوْفاً وطَوَافاً، وطَافَ به، واستطاف. ثم يقال لما يدور بالأشياء وَيُغْشِيهَا من الماء طُوفَانٌ⁽¹²⁴⁾ وجيء التعبير بـ (طوافون) بصيغة المبالغة لتأكيد تعدد التطواف، والمعنى أنهم كثيرو الطواف بالبيت، فيصعب التحرز منهم، فالخدم لا يستغني عنهم في خدمة الدار ودائماً يحتاج إليهم وأما الأطفال فيترتب حرج شديد على الأمهات إذا كان أطفالهن لا يدخلون إلا باستئذان وهم غير مكلفين⁽¹²⁵⁾.

المطلب الخامس: الآية الخامسة

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: 59].

بعد أن بينت الآية السابقة حكم الأطفال قبل بلوغ الحلم في أنه لا جناح عليهم في ترك الاستئذان فيما عدا الأوقات الثلاثة بين سبحانه في هذه الآية حكم الأطفال الأحرار إذا بلغوا الحلم. والمراد هنا الأطفال من الأحرار على وجه التحديد، وخص هنا الأطفال بالذكر لأن المماليك حكمهم واحد كبيرهم وصغيرهم حتى لا يتوهم أن المملوك إذا خدم في الضغر جاز له الدخول دون إذن على أسياده عند البلوغ⁽¹²⁶⁾ أما الأطفال فجاءت الآية تبين أنهم حال وصولهم سن البلوغ المعبر عنه بالحلم لكونه من أبرز إماراته ودلائله حينها يجب عليهم الاستئذان في كل وقت كما هو الرجال الكبار البالغين الذين لم

والنوايا والغايات والأهداف؛ ويعلم مداخل القلوب، ومسارب النفوس وهو حكيم في علاج النفوس والقلوب، وتدبير أمرها، ووضع النظم والحدود التي تصلح بها. والعليم الخبير يؤدب المؤمنين بهذه الآداب؛ وهو يريد أن يبني أمة سليمة الأعصاب، سليمة الصدور، مهذبة المشاعر، طاهرة القلوب، نظيفة التصورات. فعن العلم والحكمة تصدر هذه التشريعات. ومن العلم والحكمة تجيء هذه التوجيهات. العلم بنفوسكم وأحوالكم. والعلم بما يصلح لكم وما يصلحكم. والحكمة في طبيعة المنهج وفي تطبيقاته على السواء " (137).

ولا أبالغ حين أقول: إن الآية تمثل شاهداً من الشواهد الكثيرة الدالة على الإعجاز التشريعي في القرآن وأن هذا القرآن منزل من عند العليم الخبير بما يصلح للإنسان وما لا يصلح حيث أثبت الدراسات أن مشاهدة الطفل لأي منظر فيه تكشف للعوورت سواء كان ذلك فجأة عند الدخول إلى غرفة والديه دون إذن أو عبر مواقع التواصل الاجتماعي ومحركات البحث يؤثر سلباً عليه في المستقبل فإما أن تدفعه للانحراف والسوكيات الشاذة أو إلى العقد والأمراض النفسية التي يستعصى شفاؤها حال الكبت والحرمان من الإشباع الغريزي بالطرق المشروعة، وهذا ما أشار إليه وأكده بعض المفسرين والعلماء أمثال الأستاذ سيد قطب. حيث يقول: " بينما يقرر النفسيون اليوم - بعد تقدم العلوم النفسية- أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في حياتهم كلها ؛ وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها. والعليم الخبير يؤدب المؤمنين بهذه الآداب ؛ وهو يريد أن يبني أمة سليمة الأعصاب، سليمة الصدور، مهذبة المشاعر، طاهرة القلوب، نظيفة التصورات " (138)

في حين أشار د. محمد راتب النابلسي إلى ضرورة تعليم الوالدين أطفالهم آداب الاستئذان عند إرادتهم دخول الغرفة الخاصة بهما وأخذ الاحتياطات اللازمة بإغلاق باب حجرتها الخاصة بهما وعدم التهاون في تلك المسألة لأن هناك الكثير من الانحرافات السلوكية الشاذة لدى فئة الشباب (الزنا واللواط) تبين أن نشأها الأسرة دخوله الغرفة الخاصة بوالديه دون إذن مسبق : " التربية الأولى الجنسية تبدأ بأدب الاستئذان، معلوماتي الدقيقة والثابتة أن الشباب قد ينحرفون لا سمح الله ولا قدر، ويكون انحرافهم شاذاً، ومن دراسات دقيقة وعديدة تبين أن هذا الطفل الصغير دخل إلى غرفة نوم أمه وأبيه فجأة فأرهما في وضع لا يعرفه. لذلك في القرآن الكريم جاءت هذه الآية لتؤكد أدب الاستئذان، أنا قرأت كثيراً عن انحرافات خطيرة عند الشباب، انطلقت أنه في سن مبكرة جداً دخل على أمه وأبيه فجأة فأرهما في وضع ما فهمه، بدأ تفكيره ينصرف إلى هذا الموضوع،

المراد بقوله: ﴿ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ الذين سبق ذكرهم في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾ الآيات، وهم الذين أوجبت عليهم الآية الأولى التي شرع فيها الاستئذان في كل وقت، والمعنى أن الأطفال بعد بلوغهم الحلم وبلوغهم مبلغ الرجال يتغير حكمهم في الاستئذان إلى حكم استئذان هؤلاء الرجال البالغين (132).

وتقول الآية في الختام: ﴿ كَذَلِكَ يَبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ و هو نفس التعبير الذي جاء في آخر الآية السابقة دون تغيير، باستثناء استعمال الآية السابقة كلمة «الآيات» وهذه استعملت كلمة «آياته». للتأكيد ولمزيد من الاهتمام والامتثال (133).

وأضيفت الآيات هنا لضمير الجلالة تفننا في أساليب القول ولتقوية تأكيد معنى كمال التبيين الحاصل من قوله: {كَذَلِكَ} وتأكيد معنى الوصفين العليم الحكيم، أي هي آيات من لدن من هذه صفاته ومن تلك صفات بيانه (134).

ومن أجمل ما قيل عن سر اختتام الآية بهذا التذييل ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته ﴾ ما سطره يراع رائد التناسب القرآني (البقاعي) حيث يقول: " ولما كانت آيات الاستئذان أتقن حاسم لماد الشر، وتركها أعظم فاتح لأبواب الفتن، وكان إخراج الكلام، في أحكام الحلال والحرام، مع التهذيب والبيان، في النهاية من الصعوبة، وكان فطم النفوس عما ألفت في غاية من العسر شديدة، أشار سبحانه إلى ذلك بتكرير آية البيان، إشارة إلى أنها - لما لها من العلو - جديرة بالتأكيد، وإلى أن البالغاء يستبعدون القدرة على البيان كلما أريد على هذا السنن فقال: (كذلك) أي مثل ذلك البيان الذي بينه في آيات الأحكام يبين الله (بما له من صفات الكمال) لكم (مع ما لكم من خلال النقص) آياته أي العالمات الدالة عليه من هذه الفرعيات وما رقت إليه الأصلية، فأضافها إليه سبحانه تعظيماً لها، إشارة إلى أنها مقدمة للآيات الإلهيات، لأن من لم يتفرغ من مكدرات الأفكار، لم يطر ذلك المطار، وحثاً على تدبر ما تقدم منها لاستحضار ما دعت إليه من الحكم، وفصلت به من المواعظ، وتنبهت على ما فيها من العلوم النافعة ديناً ودنياً، وزاد في الترغيب في العلم والحكمة إشارة إلى أن ذلك سبب كل سعادة فقال: والله أي (المحيط بكل شيء) عليم " (135).

ولا شك أنّ اختيار الفاصلة القرآنية يمثل مظهراً من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، فهي لم تأتي لغرض لفظي (اتفاق رؤوس الآية مع بعضها البعض) فحسب بل جاءت لأغراض معنوية يحتملها السياق وتقتضيها الحكمة (136). وإنما ختمت الآية بالفاصلة القرآنية { والله عليم حكيم } لأن المقام مقام علم الله بنفوس البشر، وما يصلحها من الآداب، فهو يعلم البواعث

الدراسات أن ثلث الأطفال الذين شاهدوا مقاطع إباحية طبقوا شيئاً من الأفعال الخلاقية بعد مشاهدتهم للمقاطع بأيام! " التأثير الأخطر أن الطفل الذي يشاهد هذه الأفلام تحدث تغيرات دائمة في الدماغ ينتج عنها تغير في سلوكه وقناعاته وتصبح ممارسة الجنس من الأشياء الطبيعية والأساسية بالنسبة له في المستقبل. وفي مقالة للدكتور Victor B. Cline يؤكد أن مشاهدة المناظر الخلية يطور سلوكاً شاذاً لدى الناظر، حيث يزيد احتمال أن يرتكب جريمة اغتصاب أو اعتداءات جنسية وتحرش جنسي، وتلصص ومعاكسة أطفال... " (140)

تؤثر المواد والصور الإباحية تأثيراً بالغاً على تشكيل قيم الطفل وسلوكه المستقبلي الأمر الذي يدعو إلى ضرورة تنبه الوالدين لما يشاهده أبنائهم عبر الإنترنت وأن لا يتساهلوا حتى في الألعاب الإلكترونية التي يلعبون بها. يقول د. إبراهيم أبو خضر في مقال له منشور على الشبكة العنكبوتية: "إن معظم الآباء المتمسكين بالقيم العالية الخاصة بالحب والجنس والزواج يحرصون على نقل هذه القيم إلى أبنائهم، لكن المؤسف أن رسائل المواد الإباحية تربي أطفالهم على قضايا حياتية مختلفة؛ فالإعلانات التجارية التي تروج لمنتج على حساب منتج آخر تكون الإباحية عاملاً هاماً فيها مما يعمل على تشكيل قيم الأطفال واتجاهاتهم ومن ثم سلوكياتهم إن الصور الفوتوغرافية والفيديو والمجلات والألعاب الخيالية والمواد الإباحية على الإنترنت التي تصور الاغتصاب وتعمل على تجريد المرأة من إنسانيتها في مناظر جنسية؛ تشكل أداة قوية تعمل على إحداث تغييرات مدمرة في اتجاهات الأطفال.

وأكدت الدراسات المتعددة أن التعرض المكثف نسبياً للأشكال المختلفة من المواد الإباحية له تأثير مأساوي على النظرة إلى المرأة والعلاقات الجنسية بصفة عامة. وقد توصلت هذه الدراسات إلى نتيجة هامة هي: أن الأطفال الذكور حينما يتعرضون لمدة ستة أسابيع على الأقل لمواد إباحية فاضحة تنمو لديهم الصفات التالية:

- 1- سلوكيات جنسية شديدة القسوة بالنسبة للمرأة، وإدراكات مشوهة عن النشاط الجنسي.
- 2- لا ينظرون إلى الاغتصاب على أنه اعتداء إجرامي، بل لا يعدونه جريمة بالكلية
- 3- الشهية نحو سلوك جنسي أكثر انحرافاً وأكثر شذوذاً وأكثر عنفاً كما يرونه في المواد الإباحية، ولا يصبح الجنس العادي ذا قيمة عندهم.
- 4- يفقدون الثقة في الزواج بوصفه مؤسسة حيوية ودائمة. كما ينظرون إلى العلاقات مع نساء غير زوجاتهم بوصفها أمراً عادياً وطبيعياً.

وانتهى به الأمر إلى الانحراف، انحراف وفق الإطار الذي فطرنا الله عليه يعني الزنا، أو انحراف شاذ اللواط، والمطلق رؤية أبيه وأمه في وضع ما فهمه بادئ ذي بدء.

لذلك من المفروض أن الأولاد كيف ما تحركوا في البيت هناك آية تحكم هذه الحركة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَنتُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يُلْعُوا الْخُلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثًا... ﴾ وقلت أنا: الأولى أن يكون لغرفة النوم قفل ثابت، ففي هذه الأوقات الثلاثة لو دخل الطفل خطأ الباب مقفل، يألف أن هذا الباب مقفل دائماً، مقفل في أوقات معينة، هذا من أدب القرآن الكريم، فأبي شاب تزوج وجاءه مولود، بعد أن أصبح يتحرك في البيت ينبغي ألا يرى ما ينبغي ألا يعرفه إلا بعد عشرين عاماً، هناك حكم بالغة جداً أن الله عز وجل لما الطفل ينتبه لهذه القضايا ينتبه إلى الأعضاء التي عنده، هذه الأعضاء لها مضاعفات خطيرة جداً، تصور قرأنا كتاب الله، هناك آية متعلقة بالاستئذان. أنا أعلم كثيراً عن أناس مؤمنين لا يمكن أن يخلعوا ثيابهم أمام أولادهم، كلما كان التستر في البيت كان التصون والبعد عن الانحراف... (93)

هذا وتؤكد الدراسات العلمية الحديثة أن مشاهدة الصور أو الأفلام الإباحية من الخطورة بمكان على جميع الفئات العمرية، وإن كانت أشد خطراً على شريحة الأطفال لتأثيرها البالغ على دماغ الإنسان ولكونها تؤدي إلى الإدمان الذي يفتك بالإنسان وهو في ذلك لا يقل خطورة عن الإدمان على المخدرات والكحول. ومما جاء في ذلك بحث منشور على الشبكة العنكبوتية على موقع د. عبدالدايم كحيل جاء فيه أن: " أكثر من 20 دراسة تؤكد أن الأضرار الناتجة عن مشاهدة المناظر الجنسية المثيرة تشبه الإدمان على الكحول والمخدرات بل هي أخطر حيث تتلف أجزاء مهمة من الدماغ. وفي دراسة جديدة أجريت من قبل باحثين في جامعة كامبردج Cambridge University وجدت أن دماغ الإنسان الذي ينظر للمحرمات وبخاصة المقاطع الإباحية pornography يسلك سوياً يشبه دماغ ذلك الذي يدمن المخدرات والخمر. وتعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها (2013) حيث استخدم العلماء التصوير بالرنين المغناطيسي لأدمغة مجموعة من الشباب المدمنين على مشاهدة أفلام الجنس، إن نتائج الدراسة فاجأت العلماء بخطورة المناظر الجنسية، وضرورة الحد من مشاهدتها!

إن التأثير الأكثر خطورة يأتي من عالم الأطفال (تحت سن 14 سنة) حيث وجدوا أن هذا السن يتأثر كثيراً بالمشاهد الإباحية حيث تحدث تغيرات دائمة في دماغه، وتؤثر على سلوكه حيث لاحظ العلماء أن نسبة كبيرة من الأطفال الذين شاهدوا أفلام الجنس ينحرفون في سلوكهم في المستقبل. وبينت

يحبون أن يطلع عليها غيرهم، كما تضمنت آداب المخالطة في المجتمع الداخلي بين من يقطنون في بيت واحد في ظل أسرة واحدة.

2- أظهرت الدراسة التحليلية لهذه الآيات أهمية الأحكام التي تضمنتها آيات الاستئذان وأثر هذه الأحكام في حفظ المجتمع نقياً طاهراً عفيفاً بدءاً من أصغر فرد فيه وهو الطفل، ينعم فيه أفراده بالخير والأمان والسلام الداخلي والاستقرار النفسي والهدوء بعيداً عن مستنقعات الرذيلة والاكتماء بلهيب نيران الشهوات والغرائز التي لا تنطفئ في مقالات السوء والقيل والقال والطنع في الأعراض.

3- خطورة الاستهانة بالامتثال بتلك الآداب والأحكام المتعلقة بالاستئذان ولا سيما (في أوقات العورات الثلاثة) التي هي مظنة التجرد من اللباس وممارسة العلاقة الزوجية على فئة الأطفال وهذا ما أكدته الدراسات والبحوث العلمية الحديثة بما يؤكد صدق هذا الكتاب وأحقيته.

4- ضرورة نشر الوعي بين الآباء والأمهات من خلال البرامج التوعوية والمحاضرات حول خطورة ما يعرض عبر وسائل الاتصال ووسائل الإعلام ومواقع الشبكة العنكبوتية من صور ومواد إباحية التي تؤثر سلباً على جميع الفئات العمرية خاصة فئة الأطفال.

وبمعنى آخر: أن الهوية الجنسية تنمو بالتدريج خلال مراحل الطفولة والمراهقة. ولا يكون للطفل عادة أي مقدرة جنسية طبيعية حتى السن ما بين العاشرة والثانية عشرة، وبمجرد أن يكبر يتعرض لتأثيرات تلعب دوراً هاماً في نموه، فإذا تلقى معلومات صحيحة عن الجنس من أبويه ومعلميه تتطبع هذه المعلومات في ذاكرته وينمو نمواً صحيحاً، أما إذا دخل دائرة التعرض للمواد الإباحية في سن مبكرة فسيكوّن لديه إحساس مبكر ودراية مبكرة عن الجنس، فتتعرض شخصيته وكذلك فكرته عن الذات والجسد والنشاط الجنسي لعملية تشويه مما يزيد من احتمالات تعرضه للخطر (141).

الخاتمة

الحمد لله الذي أتم لنا هذا البحث حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، الحمد لله تعالى في الأولى والآخرة، حمداً يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه. توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1- تضمنت آيات الاستئذان آداب المخالطة والمعايشة في المجتمع الخارجي بين أفراد المجتمع المسلم ليصل بهم إلى الأدب الراقي والخلق الرفيع في التعايش مع بعضهم البعض بما يحفظ خصوصيتهم وحرمتهم الشخصية وأسرارهم التي لا

الهوامش

- (19) أنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج2، ص 75 وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 672 الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، ص166 و ص167 و ص175 و ص244 و ص374
- (20) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص52
- (21) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ص 5175-5176
- (22) الشعراوي، خواطر الشعراوي، ج 16، ص 10243
- (23) ابن فارس، مقاييس اللغة ج1، ص 324-325
- (24) فضل الله، من وحي القرآن، ج16، ص 284
- (25) قطب، في ظلال القرآن، ج 18، ص 2507
- (26) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 2، ص310-311
- (27) المرجع السابق نفسه، ج1، ص 148
- (28) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج27، ص 243-244
- (29) الزمخشري، الكشاف، ج 18، ص 725 وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص158
- (30) الكشاف، ج18، ص725
- (31) أنظر، الطبري ن جامع البيان، ج 19، ص 147
- (32) أخرجه ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الأدب، باب في الاستئذان، رقم الحديث (25674)،

- (1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص112
- (2) قطب، في ظلال القرآن، ج 18، ص2486
- (3) المرجع السابق نفسه.
- (4) قطب، في ظلال القرآن، ج 18، ص 2486
- (5) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص 92-93
- (6) ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص9
- (7) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (ط1)، ج1، ص24
- (8) الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص 197
- (9) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ص5175
- (10) دروزة، التفسير الحديث، ج8، ص 395
- (11) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ج3، ص 55
- (12) فضل الله، من وحي القرآن، ج16، ص 281-282
- (13) الزمخشري، تفسير الكشاف، ج1، ص52 و ص957
- (14) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص 66 و ج 25، ص187
- (15) المرجع السابق نفسه، ج9، ص 303
- (16) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص215
- (17) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص 276
- (18) زيدان، الوجيز في أصول الفقه، ص302

- (67) الزمخشري، الكشاف، ج 18، ص 725
- (68) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ص 5178
- (69) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18، ص 160
- (70) دروزة، التفسير الحديث، ج 8، ص 394
- (71) المراغي، تفسير المراغي، ج 18، ص 96
- (72) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ج 1، ص 436
- (73) قطب، في ظلال القرآن، ج 2، ص 253
- (74) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18، ص 160
- (75) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 7، ص 22
- (76) الشيرازي، الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ج 9، ص 55
- (77) البقاعي، نظم الدرر، ج 5، ص 462
- (78) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ص 5178
- (79) الترابي، التفسير التوحيدي، ج 2، ص 1005-1006
- (80) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 196
- (81) أنظر: البقاعي، نظم الدرر، ج 5، ص 492 وأبو زهرة، زهرة التفاسير، ص 5178
- (82) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 3، ص 66
- (83) الراغب الأصفهاني، المفردات، ج 1، ص 486
- (84) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18، ص 162
- (85) قطب، في ظلال القرآن، ج 14، ص 2186-2187
- (86) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ص 5178
- (87) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18، ص 161
- (88) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 5، ص 236-235
- (89) الراغب الأصفهاني، المفردات، ج 2، ص 362
- (90) الشوكاني، فتح القدير، ج 4، ص 30
- (91) ابن العربي، أحكام القرآن، ج 3، ص 317
- (92) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18، ص 162
- (93) المشني، الإعجاز البياني والتشريعي في آيات الصيام، ص 144
- (94) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج 7، ص 22
- (95) المرجع السابق نفسه
- (96) طنطاوي، التفسير، ج 10، ص 111
- (97) الزمخشري، الكشاف، ج 18، ص 726
- (98) مغنية، التفسير الكاشف، ص 412
- (99) ابن العربي، أحكام القرآن، ج 3، ص 348
- (100) الرازي، مفاتيح الغيب، ج 11، ص 371
- (101) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 81
- (102) الشعراوي، خواطر الشعراوي، ج 17، ص 10328-10329
- (103) أنظر: الطبرسي، مجمع البيان، ج 1، ص 444 و دروزة، التفسير الحديث، ج 8، ص 219
- (104) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 26، ص 219
- (105) المرجع السابق نفسه، ج 9، ص 58
- ج 5، ص 242 والطبراني، المعجم الكبير، ج 4، ص 178
- (33) الكشاف، ج 18، ص 725
- (34) البراع: القلم الذي يتخذ من القصب أنظر: الزبيدي، تاج العروس، ج 1، ص 5640، مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج 2، ص 1051
- (35) قطب، في ظلال القرآن، ج 18، ص 2508
- (36) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 1، ص 92-93
- (37) المرجع السابق نفسه، ج 1، ص 148
- (38) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ص 5175
- (39) شحاتة، تفسير القرآن الكريم، مجلد 9، ص 3579
- (40) المرجع السابق نفسه.
- (41) الشيرازي، الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ج 9، ص 54
- (42) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18، ص 158
- (43) المرجع السابق نفسه، ج 18، ص 159
- (44) شحاتة، تفسير القرآن الكريم، مجلد 9، ص 3579
- (45) المحرر الوجيز، ج 5، ص 67
- (46) الزرقاني، مناهل العرفان، ج 1، ص 268-269
- (47) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ص 5176
- (48) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج 6، ص 168
- (49) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 127
- (50) الشيرازي، الأمتل في تفسير الكتاب المنزل، ج 9، ص 55
- (51) الرماني، النكت في إعجاز القرآن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 77
- (52) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 5، ص 253
- (53) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، ج 2، ص 55
- (54) الترابي، التفسير التوحيدي، ج 2، ص 1005
- (55) قطب، في ظلال القرآن، ج 18، ص 2507-2508
- (56) المرجع السابق نفسه
- (57) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 18، ص 136
- (58) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ص 5177
- (59) الألوسي، روح المعاني، ج 18، ص 136
- (60) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 12، ص 213 الشنقيطي، أضواء البيان، ج 27، ص 246
- (61) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18، ص 161
- (62) المرجع السابق نفسه
- (63) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 18، ص 161
- (64) الزمخشري، الكشاف، ج 18، ص 725
- (65) الألوسي، روح المعاني، ج 18، ص 136
- (66) البقاعي، نظم الدرر، ج 5، ص 462

- (106) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص215
 (107) المرجع السابق نفسه، ج9، ص311
 (108) طنطاوي، التفسير الوسيط، ج10، ص151
 (109) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج303، ص9
 (110) أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص68
 (111) الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص367
 (112) أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص367 و
 الشعراوي، خواطر الشعراوي، ج17، ص1329-1330
 (113) الراغب الأصفهاني، المفردات، ج1، ص259
 (114) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص193
 (115) أنظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج10، ص5226
 والشيرازي، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ج9،
 ص136
 (116) أبو زهرة، زهرة التفاسير، ج10، ص5226
 (117) الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص370
 (118) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص193
 (119) الراغب الأصفهاني، المفردات، ج2، ص137
 (120) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص617
 (121) أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص371 و الكيا
 الهراسي الشافعي، أحكام القرآن، ج4، ص321
 (122) الزمخشري، الكشاف، ج18، ص735
 (123) الكيا الهراسي الشافعي، أحكام القرآن، ج4، ص321
 (124) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص338
 (125) أنظر: الزمخشري، الكشاف، ص735 وأبو زهرة، زهرة
 التفاسير، ج10، ص5227 و الشيرازي، الأمل في
 تفسير كتاب الله المنزل، ج9، ص127
 (126) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج19،
 ص215.
 (127) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص194-195

المصادر والمراجع

- الألوسي، ش (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم
 والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت،
 البقاعي، ب1995، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق:
 عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية: بيروت -
 1415هـ م
 الترابي، ح، التفسير التوحيدي، الدار العربية للعلوم، بيروت، دون
 طبعة
 الجزائري، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط
 الثالثة 1414هـ
 أبو حيان، م (توفي 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق:
 صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط1420هـ
 أبو داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي
 داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، باب كيف
 الاستئذان، الناشر: دار الفكر، بدون سنة نشر
- دروزة، م، 1383 التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة،
 الطبعة.
 الرازي، م التيمي، 1981 مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت.
 الراغب الأصفهاني، أ (المتوفى: 502هـ) (1412هـ)، مفردات ألفاظ
 القرآن، (ط1)، دار القلم، دمشق.
 الرمانى، النكت في إعجاز القرآن ثلاث رسائل في الإعجاز، حققها
 وعلق عليها محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغول سلام، ط
 الثالثة، دار المعارف، مصر
 الزرقاني، م، 1996 مناهل العرفان، دار الفكر بيروت، ط الأولى.
 الزمخشري، أ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه
 التأويل، اعتنى به وخرج أحاديث وعلق عليه: خليل مأمون
 شبحا، دار المعرفة، بيروت، ط الثالثة 2009م
 أبو زهرة، م، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بيروت، دون طبعة
 أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: 982هـ)،
 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، د. ط، دار إحياء

التراث العربي، بيروت

شحاتة، ع، 2000 تفسير القرآن الكريم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

الشعراوي، م، خواطر الشعراوي، جمع وتحليل: يحيى وزيري، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، بدون طبعة

الشنقيطي، 1995 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت: لبنان، 1415 هـ.

الشوكاني، م، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.

الشيرازي، ن، دار النشر لمدرسة الإمام علي بن أبي طالب، إيران، ط الأولى، دون سنة نشر.

ابن عاشور، م (توفي: 1393هـ)، 2000 التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت: لبنان، الطبعة: الأولى، 1420.

عباس، ف، 2005 البلاغة العربية فنونها وأفنانها، دار الفرقان، عمان، ط العاشرة.

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد الجاوي، دار إحياء التراث العربي بيروت: لبنان، الطبعة: الأولى

ابن عطية، أ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، دون طبعة.

الطبري، م، أبو جعفر الطبري، [224 - 310 هـ]، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - م

طنطاوي، م، 2000 التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة القاهرة، ط1.

ابن فارس، أ (توفي: 395هـ)، 1979 مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر.

فضل الله، ح، 1998 من وحي القرآن، دار الملاك، بيروت: ط الثانية.

قطب، س (توفي: 1385هـ)، 2003 في ظلال القرآن، بيروت - القاهرة، دار الشروق (ط32).

ابن كثير، أ [توفي -774 هـ] 1999 تفسير القرآن العظيم،

تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ.

الكيا الهراسي الشافعي، ع، أحكام القرآن، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثانية 1405 هـ

المراغي، أ (توفي: 1946)، تفسير المراغي، (ط1)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

المشني، م، بحث بعنوان: الإعجاز البياني والتشريعي في آيات الصيام، ص143، مجلة المنار، المجلد10، العدد3، 2004

مغنية، م، التفسير الكاشف، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران، ط الرابعة، 2007م

ابن منظور، م، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة 1 الميداني، ع، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ط الأولى 1996م

النووي، أ (المتوفى: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثانية 1392

مواقع الشبكة العنكبوتية:

ندوات تلفزيونية - قناة الطبية - تربية الأولاد في الإسلام 2008 - الدرس (28-36): التربية الجنسية -1- أدب الاستئذان عند

الأولاد لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2009/3/21 مسجلة كتابيا منشورة على الشبكة العنكبوتية على

الموقع التالي:

<http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=6764&id=1249&sid=0&ssid=0&ssid=1367>

بحث منشور على موقع كحيل للإعجاز العلمي بعنوان المشاهد الجنسية تتلف الدماغ على الموقع التالي:

<http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-22-17-58/1577-2013-12-31-03-28-32>

مقال منشور على الشبكة العنكبوتية بعنوان: مخاطر مشاهدة الأطفال للمواد الإباحية: شهادة الغرب على نفسه، د. أحمد إبراهيم خضر

على الموقع التالي:

<http://www.alukah.net/culture/0/27100/#ixzz3iIuOF0I5>

The Rhetorical and Legislative Inimitably in the Permissions Verses

*Asma N. Khalilly **

ABSTRACT

This study tackles the rhetorical and legislative inimitably in the five permissions verses of Surat Al-Nur. It also aims to show some aspects of the rhetorical and the legislative inimitably in the five permissions verses and reveal the secrets of systems and legislation issues whereof.; that is to say, these verses addressed the subject of permission and ethics of contact and cohabitation between people in the outside community and in the internal community among the members of the same family in more accurate specificities. Due of this, it came studded with rhetorical jokes and legislative provisions that would keep the community immaculate, pure and productive through distinctive moral system prescribed by Quran for the humanitarian communities.

Keywords: the rhetorical and legislative inimitably, the permissions verses.

* Northern Border University, Saudi Arabia. Received on 25/8/2015 and Accepted for Publication on 19/1/2016.